

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف

موسوعة الخطب العصرية

الجزء الحادي عشر

إعداد
الإدارة العامة للفتوى وبحوث الدعوة

إشراف ومراجعة وتقديم
أ.د/ محمد مختار جمعة
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

١٤٤٤هـ / ٢٠٢٣م



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

(هود: ٨٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــــــديم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

وبعـــــد:

فهذا هو الجزء الحادي عشر من موسوعة الخطب العصرية للسادة الأئمة والخطباء والمثقفين والمعنيين بالشأن الدعوي في مصر والعالم ، والذي أعدته الإدارة العامة للفتوى وبحوث الدعوة بوزارة الأوقاف تحت إشرافنا ومراجعتنا.

وقد تنوَّعت موضوعاته ما بين قضايا إيمانية وتربوية وأخلاقية تهدف إلى إيقاظ الضمائر وتهذيب الأخلاق ، وقضايا اجتماعية تسهم في دعم وتقوية أواصر المودة والرحمة بين أبناء المجتمع ، وأخرى تتصل بالمعاملات التي تعدّ جزءًا لا يتجزأ من السلوك القويم للمسلم ، وقضايا وطنية تهدف إلى تقوية الانتماء الوطني والحفاظ على أمن الوطن واستقراره ، ما يبين حقوق المسلم وواجباته نحو الوطن الذي يعيش فيه ، ونحو والديه ، وذوي رحمه ، ونحو زملائه ، وأصدقائه ، وجيرانه ، والبيئة التي تحيط به ، والكون الذي يعيش فيه .

وقد تضمنت هذه الخطب ما يقوي الحس الإيماني العام ، ويزكي الجانب الأخلاقي، ويبين أن مكارم الأخلاق سمة الإسلام الغالبة، وعنوانه النير المضيء.

كما تضمنت جانبًا من الحديث عن العبادات وأثرها في تزكية النفس ، وتهذيب السلوك وتزكيته .

وتناولت العديد من القضايا العصرية والاجتماعية الهامة ، منها : أسماء الله الحسنى وأثر فهم معانيها في حياتنا ، سنن الله الكونية في القرآن الكريم ، دروس من الهجرة النبوية ، أهل الاستجابة في القرآن والسنة ، آيات الاعتبار في القرآن الكريم ، حقوق ذوي الأرحام ، هدي النبي (صلى الله عليه وسلم) في بيان منزلة الشهداء ، أخلاقيات البيع والشراء ، حق الوطن ، طلاقة القدرة الإلهية ، محاسبة النفس ، إتقان العبادة والعمل ، عناية القرآن بالزمن وحديثه عن الأيام والسنين، إلى غير ذلك من الموضوعات المهمة التي تسهم في بناء الوعي ونشر الفكر الوسطي المستنير.

وقد راعينا في هذه الخطب أن تكون في إطار سماحة الإسلام ، وفي أسلوب سهل ميسر بعيدًا عن أي تكلف ، أو تقعر ، أو تشدد لفظي كان أو معنوي .

والله من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر الشريف

أسماء الله الحسنى... بركتها وأثر فهمها في حياتنا

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[1]، وأَشهدُ أنْ لَا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، وبعد:

فإن العلم بأسماء الله الحسنى أشرف العلوم وأساسها ؛ لذلك جاء الأمر بإحصائها ، وفهم معانيها ، والعمل بمقتضاها في القرآن الكريم ، والسنة النبوية المشرفة ، حيث يقول الحق سبحانه : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3]، ويقول تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[4]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[5]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾[6]، ويقول سبحانه: ﴿هُوَ

---

١) الأعراف: ١٨٠

٢) محمد: ١٩.

٣) البقرة: ٢٠٩.

٤) البقرة: ٢٦٧.

٥) الإسراء: ١.

٦) الذاريات: ٥٨.

ﭐللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ * هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(1)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ للهِ تِسْعَةً وتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةً إِلَّا واحِدًا، مَن أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ" (2).

وفَهْمُ أسماءِ الله الحسنى له عظيم الأثر في حياتنا، فبذلك الفهم نعرف الله (تبارك وتعالى) حق المعرفة، فحينما سأل المشركون رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يذكر لهم صفة الحق سبحانه، أنزل الله تعالى﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ *ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾(3)، ومَن عَلِمَ أن الله تعالى غفور، رحيم، عفوّ، كريم، ودود، حييّ كريم؛ زاد رجاؤه في ربه وإقباله عليه، وعَظُم ابتهاله إليه، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾(4)، ويقول سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾(5)، ويقول نبينا (صلى الله

---

1) الحشر: ٢٢-٢٤.

2) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، بَابٌ: إِنَّ للهِ مِائَةَ اسْمٍ إِلَّا وَاحِدًا ، حديث رقم: ٧٣٩٢، وصحيح مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابٌ فِي أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى وَفَضْلِ مَنْ أَحْصَاهَا، حديث رقم: ٢٦٧٧ .

3) الإخلاص: ١-٤.

4) البروج: ١٤.

5) البقرة: ٢٤٧.

عليه وسلم): "إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ ، يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا"[1]، ومَن عَلِمَ أن الله سميع بصير، عليم مطَّلع مراقِب ؛ فوَّض أمره إليه ، وعمل بطاعته ، وابتعد عن معصيته ، ومن علم أن الله عليم بسره ونجواه وبعلانيته وبما تُكِنُّه الأنفس وتخفيه الصدور ؛ عمل في مرضاته ، وابتعد عما يغضبه (جل وعلا).

كما أن ذلك الفهم سبب لخشية الله (تبارك وتعالى) الباعثة على حسن العمل، والاستعداد الحق للقاء الله (جل وعلا) ، فمن كان بالله تعالى أعرف فهو منه أخوف ، حيث يقول الحق سبحانه:﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[2]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): ".. فَوَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بالله ، وأَشَدُّهُمْ له خَشْيَةً"[3].

أما الثناء على الله تعالى بأسمائه الحسنى فهو سبب لمحبته (جلّ وعلا)، وباب لدخول الجنة ، فقد بعث نبينا (صلى الله عليه وسلم) رجلًا على سَرِيَّة ، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم ، فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[4]، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي (صلى الله عليه وسلم)، فقال: "سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟"، فسألوه ، فقال الرجل: "لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحبُّ أن أقرأ بها"، فقال النبي

---

١) سنن أبي داود، أبواب الوتر، باب الدعاء ، حديث رقم: ١٤٨٩.

٢) فاطر: ٢٨.

٣) متفق عليه: صحيح البخاري ، كِتَابُ الأَدَبِ ، بَابُ مَنْ لَمْ يُوَاجِهِ النَّاسَ بِالعِتَابِ ، حديث رقم: ٦١٠١، واللفظ له ، وصحيح مسلم، كتاب الْفَضَائِلِ ، بَابُ عِلْمِهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِاللهِ تَعَالَى وَشِدَّةِ خَشْيَتِهِ ، حديث رقم: ٢٣٥٦ .

٤) الإخلاص: ١.

(صلى الله عليه وسلم): "أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّه"[١]، وفي رواية أنه (صلى الله عليه وسلم) قال له: "حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ"[٢].

ومن أراد أن يستجلب الخير لنفسه ، ويدفع عنها الشرور والهلكات ، فليُثْنِ على ربه بأسمائه الحسنى، وليذكر ربه سبحانه بها ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ الله الَّذِي لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ ، وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَيَضُرَّهُ شَيْءٌ" [٣].

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا شك أن دعاء الله تعالى بأسمائه الحسنى طريق الإجابة وباب الوصول، ووسيلة تفريج الكروب ، ودفع الهموم ، ومغفرة الذنوب ، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[٤]، ويقول سبحانه: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ

---

١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب التوحيد، بَابُ مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أُمَّتَهُ إِلَى تَوْحِيدِ الله (تَبَارَكَ وَتَعَالَى)، حديث رقم: ٧٣٧٥ ، وصحيح مسلم، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ فَضْلِ قِرَاءَةِ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ،حديث رقم: ٨١٣.

٢) صحيح البخاري معلقًا، كِتَابُ الأَذَانِ، بَابُ الجَمْعِ بَيْنَ السُّورَتَيْنِ فِي الرَّكْعَةِ .

٣) سنن الترمذي، أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، بَاب مَا جَاءَ فِي الدُّعَاءِ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى، حديث رقم: ٣٣٨٨.

٤) الأعراف: ١٨٠.

﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[1]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): " مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ، ابْنُ عَبْدِكَ ، ابْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي ، وَنُورَ صَدْرِي ، وَجِلَاءَ حُزْنِي ، وَذَهَابَ هَمِّي ، إِلَّا أَذْهَبَ الله هَمَّهُ وَحُزْنَهُ ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا"[2]، ودَخَلَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الْمَسْجِدَ ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ قَضَى صَلَاتَهُ ، وَهُوَ يَتَشَهَّدُ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا اَللهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ، أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، قَالَ: فَقَالَ: "قَدْ غُفِرَ لَهُ ، قَدْ غُفِرَ لَهُ" ثَلَاثًا [3].

وكان نبينا (صلى الله عليه وسلم) يدعو ربه (جل وعلا) بأسمائه الحسنى، فكان يقول (صلى الله عليه وسلم) عند الكرب: "لا إِلَهَ إِلَّا الله العَظِيمُ الحَلِيمُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا الله رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا الله رَبُّ السَّمَوَاتِ ورَبُّ الأَرْضِ، ورَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ"[4] .

---

١) الإسراء : ١١٠.

٢) مسند أحمد، ٦/ ٢٤٧، حديث رقم : ٣٧١٢.

٣) سنن أبي داود ، أَبْوَابِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ ، بَابُ مَا يَقُولُ بَعْدَ التَّشَهُّدِ ، حديث رقم: ٩٨٥.

٤) متفق عليه: صحيح البخاري ، كِتَابُ الدَّعَوَاتِ ، بَابُ الدُّعَاءِ عِنْدَ الكَرْبِ ، حديث رقم: ٦٣٤٦، وصحيح مسلم ، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ ، بَابُ دُعَاءِ الْكَرْبِ ، حديث رقم: ٢٧٣٠.

فمـا أحوجنا إلى إدراك معاني أسمـاء الله الحسنى ودعائـه (عز وجل) بهـا ؛ لتزكو نفوسنا ، وتطمئن قلوبنا ، وترقى تعاملاتنا ، وتُستجاب دعواتنا.

*　　　*　　　*

سنن الله الكونية في القرآن الكريم(*)

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾(1)، وأَشهدُ أنْ لَا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، وبعد :

فإن الله (سبحانه وتعالى) أقام الكون على سنن وقوانين ثابتة ، لا تتغير ولا تتبدل ، والمتأمل في القرآن الكريم يجده حافلًا بالحديث عن سنن الله الكونية وقوانينه الأزلية التي تضبط حركة المخلوقات في تكامل وانسجام ، دون خلل أو اضطراب ، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾(2).

وتتميز سنن الله الكونية بالعموم والشمول ؛ فهي تنطبق على الجميع ، دون تمييز أو استثناء ، فقد جعل الحق سبحانه الجزاءَ من جنس العمل ، حيث يقول سبحانه: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا * وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا﴾(3)، ويقول سبحانه : ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ (4)،

*) هذه الخطبة من مقال للأستاذ الدكتور/ محمد مختار جمعة وزير الأوقاف بعنوان : السنن الكونية (1).

1) الأحزاب: 62.

2) فاطر: 43.

3) النساء: 123، 124.

4) البقرة: 152.

ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): " مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ"(١)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعْ عَنْهُ " (٢).

ومن سنن الله الكونية سنة التداول في الغنى والفقر ، فلا الفقر يدوم ولا الغنى، فغنيُّ اليوم قد يكون فقير الغد ، وفقير اليوم قد يكون غنيَّ الغد ، حيث يقول سبحانه: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾(٣)، وعلى الغني أن يشكر، وعلى الفقير أن يعمل ويكد ويجتهد ويعرق ويتعب ليغيِّر واقعه وحاله ، وحال المؤمن في كلا الأمرين على ثبات، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ"(٤).

ومن هذه السنن : الامتحان والابتلاء والاختيار والاصطفاء ، حيث يقول سبحانه في الحديث عن سنة الابتلاء : ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ

---

١) صحيح مسلم ، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ ، بَابُ فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ ، حديث رقم : ٢٦٩٩.

٢) صحيح مسلم ، كِتَابُ الْمُسَاقَاةِ، بَابُ فَضْلِ إِنْظَارِ الْمُعْسِرِ، حديث رقم: ١٥٦٣.

٣) آل عمران: ١٤٠.

٤) صحيح مسلم ، كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، بَابُ الْمُؤْمِنِ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ، حديث رقم: ٢٩٩٩.

ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴾[3].

أما الاصطفاء فالله (سبحانه وتعالى) أعلم بمن يصطفي ولِمَ يصطفي ومتى يصطفي، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ﴾[4]، ويقول (عز وجل): ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾[5]، ويقول تعالى: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾[6]، ويقول (عز وجل): ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ * أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾[7]، ويقول في قصة سيدنا موسى (عليه السلام) متحدثًا عن رحلته مع فتاه للقاء العبد الصالح :﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا

١) العنكبوت: ٢، ٣.

٢) آل عمران: ١٤٢.

٣) البقرة: ٢١٤.

٤) الأنعام: ١٢٤.

٥) الحج: ٧٥.

٦) المائدة: ٥٤.

٧) الزخرف: ٣١، ٣٢.

عِلۡمٗا * قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴾[1].

فلا تحارب أحدًا في شيء مَنَّ اللهُ به عليه، فلن توقفه، ولن يوقفك أحد عن أمر أراده الله لك ، ولن يحول أحد بينك وبين خير أراد الله أن يسوقه إليك ، حيث يقول سبحانه: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[2]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "..وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ "[3].

ومن سنن الله تعالى الكونية إجراء المسببات على الأسباب ، بغض النظر عن الدين والجنس واللون والعرق ، فمن يزرع يحصد ، ومن يجتهد ينجح ، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا﴾[4].

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين .

ومن سنن الله الكونية أن من اتَّبَع هدى الله تعالى وسار في طريق رضاه أكرمه

---

١) الكهف: ٦٥، ٦٦.

٢) فاطر: ٢.

٣) سنن الترمذي ، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ، بابٌ منه ، حديث رقم: ٢٥١٦.

٤) الكهف: ٣٠.

سبحانه بطيب العيش في الدنيا ، وبالجنة في الآخرة ، كما اقتضت سنة الله تعالى في المعرض عن هداه عقابه بالمعيشة الضنك في الدنيا ، والعذاب في الآخرة ، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1]، ويقول سبحانه : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2]، ويقول تعالى : ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[3].

* * *

---

1) البقرة: ٣٨.

2) النحل: ٩٧.

3) طه: ١٢٣ – ١٢٦.

الآيات الكونية في القرآن الكريم

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾(١)، وأَشهدُ أنْ لَّا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إِلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فإن المتأمل في القرآن الكريم يجده حافلًا بالآيات الكونية التي تدل على طلاقة القدرة، وكمال الحكمة، وبديع الصنعة، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾(٢).

فالكون كله شاهد على عظمة الخالق سبحانه ووحدانيته، وإنما ينتفع بآيات الله الكونية أهلُ العقول الراجحة والبصائر النافذة، فيزداد إيمانهم ، ويعظم يقينهم، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ * إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(٣)، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ * ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ

---

١) فصلت: ٥٣.

٢) النمل: ٨٨.

٣) البقرة: ١٦٣ ، ١٦٤ .

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[1].

ومن آيات الله الكونية السماوات ذات الجمال والكمال ، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾[3]، ويقول تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[4]، ويقول سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾[5].

ومما زيَّن الله سبحانه به السماء ، تلك الشمس التي جعلها الله سراجًا وهاجًا، تدفئ الأجواء والبحار، وتسير بانتظام بديع، والقمر الذي جعله الله ضياء منيرًا، وقدَّره منازل لنعلم عدد السنين والحساب ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[6]، وجعل فيها سبحانه نجومًا لنهتدي بها في الظلمات، يقول سبحانه : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ

---

1) آل عمران: ١٩٠ ، ١٩١.

2) ق:٦.

3) الملك:٣.

4) الذاريات : ٤٧.

5) الأنبياء : ٣٢.

6) يس : ٣٨ – ٤٠.

﴿فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[1].

والمتأمل في خلق الأرض وما فيها من آيات الله يدرك تمام قدرته سبحانه وحكمته ، حيث جعلها سبحانه قرارًا لا تميل ولا تضطرب ، ومهَّدها لخلقه، وسلك لهم فيها سبلًا، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها ، وقدر فيها أقواتها، وجعلها ذلولًا ليمشي الناس في مناكبها ويأكلوا من رزقه سبحانه ، كما أنشأ فيها سبحانه البساتين ، وصنوف الطعام المختلفة التي تُسقى بماء واحد ، حيث يقول سبحانه : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[2]، ويقول (عزَّ وجلَّ): ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ۖ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3]، ويقول سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[4]، ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم

---

١) الأنعام: ٩٧.

٢) الملك: ١٥.

٣) الرعد: ٣ ، ٤.

٤) فصلت: ٣٩.

مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴾[1]، وقد أكَّد العلم الحديث كل ما جاء في النصوص الكريمة من اهتزاز جزيئات حبيبات التربة عند نزول الماء عليها ، فمن الذي علم سيدنا محمدًا (صلى الله عليه وسلم) ذلك قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام؟ إنه رب العالمين ولا أحد سواه .

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين .

لا شك أن الآيات الكونية الدالة على بديع صنع الله (عزَّ وجلَّ) في خلق الإنسان مما يدل على وجود الخالق سبحانه وقدرته ، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾[2]، ويقول سبحانه : ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ * ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ * ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾[3]، ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ * ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ * فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[4]، ويقول

---

١) الحج: ٥.

٢) التين: ٤.

٣) المؤمنون : ١٢– ١٤.

٤) الانفطار: ٦ –٨.

سبحانه وتعالى : ﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾[1]، وخص البنان دون سواه ؛ لأن في تكوين البنان وبصمة الإصبع آية من آيات الله (عزَّ وجلَّ) في الخلق ، في عدم تماثل تكوين البنان في أي شخصين منذ أن خلق الله سبحانه الأرض ومن عليها إلى أن تقوم الساعة .

* * *

---

١) القيامة: ٤ .

آيات الاعتبار في القرآن الكريم

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾[1]، وأَشهدُ أنْ لَا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، وبعد:

فإن الاعتبار من أعظمِ صفاتِ المؤمنين ، وأخصِّ مزايا المتقين ، وأهلُ الاعتبار هم أصحابُ النظرِ الثاقب والقلبِ الخاشع ، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[3].

والمتأملُ في القرآن الكريم يجد أن الحق سبحانه وتعالى قد حثَّ على إعمال العقول بالاعتبارِ والتدبرِ والتأمُّل ، وأولى ذلك عنايةً خاصة ؛ بل جعله من أجلِّ العبادات ، وأفضل الطاعات ؛ حيث يقول الحق سبحانه آمرًا بالنظر والاعتبار: ﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾[4]، ويقول سبحانه: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[5]، ويقول تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾[6].

---

١) الحشر : ٢.

٢) النازعات : ٢٦.

٣) ق : ٣٧.

٤) الحشر : ٢.

٥) يونس: ١٠١.

٦) الحج : ٤٦.

ومما دعانا القرآن الكريم إلى الاعتبار به: تعاقُب الليل والنهار، واختلافُ أحواله، وتقلُّبُ أجوائه، ففي ذلك عظة لأصحاب البصائر النافذة، وعبرة لأهل العقول الواعية، حيث يقول سبحانه: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا﴾[2]، ويقول تعالى في الحديث القدسي: "بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ"[3]، والمراد بقوله تعالى: ﴿خِلۡفَةٗ﴾ أي أن كلًّا من الليل والنهار يخلف الآخر في نظام إلهي لا يتبدل ولا يتخلف ، فمن الذي يضبط حركة كل منهما؟ إنه الله ولا أحد سواه .

وفي المنافع التي أودعها الله في الأنعام لينتفع بها بنو الإنسان عبرة لمن اعتبر، حيث بيَّن القادر سبحانه في كتابه أنه يسقينا من ضروع الأنعام لبنًا خالصًا نقيًّا لذيذًا يطيب للشاربين ، مع أنه يخرج من بين ما يحتويه البطن من فضلات ، وما في الجسم من دم ، حيث يقول سبحانه : ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾[4] ، ويقول سبحانه: ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾[5] ،

١) النور: ٤٤ .

٢) الفرقان:٦٢ .

٣) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، بَابُ {وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ}[الجاثية: ٢٤]، حديث رقم: ٤٨٢٦، وصحيح مسلم ، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها ، باب النهي عن سبّ الدهر، حديث رقم: ٢٢٤٦.

٤) النحل: ٦٦.

٥) المؤمنون : ٢١.

وفي ذلك دلالة على قدرة الخالق سبحانه ، وحكمته ، ولطفه ، ورحمته.

وحثّنا القرآن الكريم على الاعتبار بقصص الأنبياء وأخبارهم ، وما اشتملت عليه من حكم وهدايات ، ودروس وعظات ، يقول الحق سبحانه : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[1]، وفي ذلك لفت لأنظارنا بأخذ العظة والعبرة مما ورد في القرآن الكريم من قصص الأنبياء والرسل عليهم جميعًا الصلاة والسلام.

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا شك أن القرآن العظيم حافل بالكثير من الآيات التي تدعو إلى الاعتبار بمصائر الأمم السابقة ، والاتعاظ بما عوقبوا به بسبب مخالفتهم أمر ربهم ، والسعيدُ من اعتبر بغيره، حيث يقول سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[3].

---

١) يوسف : ١١١.

٢) طه:١٢٨.

٣) الروم: ٩.

ويقول سبحانه: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ (١)، ويقول سبحانه: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٢)، ويقول (عزَّ وجلَّ) عن قوم لوط وما نزل بهم من العذاب بسبب انحرافهم العقدي والسلوكي: ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٣)، ويقول سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ (٤).

فما أحوجنا إلى الاعتبار والتفكر والتدبر؛ فإن ذلك مما يقوِّي الإيمان، ويوسِّع المدارك، ويجلب محبة الله (عزَّ وجلَّ)، والخوف منه، والرجاء في عفوه ورحمته.

* * *

١) فصلت: ١٥.

٢) فصلت: ١٧.

٣) العنكبوت، ٣٤، ٣٥.

٤) هود: ٨٢، ٨٣.

أهل الاستجابة في القرآن والسنة

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾[1]، وأَشهدُ أنْ لَّا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فإن الاستجابة لله تعالى ولرسوله (صلى الله عليه وسلم) حياة القلوب، ودليل الإيمان الكامل والمحبة الصادقة، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ ﴾[3]، ويقول (عزَّ وجلَّ): ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[4].

وأهل الاستجابة موفَّقون لشكر نِعَم الله (عزَّ وجلَّ)، باستعمال الجوارح التي وهبها الله إياهم في سماع الحق والاستجابة له، يقول سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَ ﴾[5]، كما أنهم موعودون بالمغفرة والنجاة، والجنة يوم القيامة، يقول

---

١) الأنفال : ٢٤.

٢) الأنفال : ٢٤.

٣) الشورى : ٢٦.

٤) آل عمران : ٣١.

٥) الأنعام : ٣٦.

تعالى: ﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1]، ويقول (عزَّ وجلَّ): ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾[2].

ولا شك أن حياة أصحاب نبينا (صلى الله عليه وسلم) تمثل الاستجابة الحقيقية الكاملة لله ولرسوله (صلى الله عليه وسلم)، ففي حادثة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة كانت الاستجابة اللحظية منهم (رضي الله عنهم)، حيث استداروا في الصلاةِ – وكانوا يصلون جهة بيت المقدس– عندما جاءهم من يخبرهم أنَّ رسولَ اللهِ (صلَّى اللهُ عليه وسلَّم) قد أُنزِل عليه الأمر باستقبال الكعبة في الصلاة[3]، وهذا أبو طلحةَ (رضي الله عنه) يسمع قول الله (عزَّ وجلَّ): ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾[4]، فيتصدق ببستانه (بَيْرحَاء) وكان أحب أمواله إليه، يرجو أجر ذلك وذُخْرَه عندَ اللهِ تعالى .

---

١) الأحقاف : ٣١.

٢) الرعد :١٨.

٣) وسياق الحديث عن أَنَسٍ (رضي الله عنه): " أَنَّ رَسُولَ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَانَ يُصَلِّي نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ"، فَنَزَلَتْ: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} [البقرة: ١٤٤]، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَقَدْ صَلَّوْا رَكْعَةً، فَنَادَى: أَلَا إِنَّ الْقِبْلَةَ قَدْ حُوِّلَتْ، فَمَالُوا كَمَا هُمْ نَحْوَ الْقِبْلَةِ". صحيح مسلم، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاة ، بَابُ تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ مِنَ الْقُدْسِ إِلَى الْكَعْبَةِ، حديث رقم: ٥٢٧.

٤) آل عمران: ٩٢. وسياق الحديث عن أَنَسٍ (رضي الله عنه):"كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ أَنْصَارِيٍّ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ، أَحَبُّ مَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ وَكَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا نَزَلَتْ: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران: ٩٢]، قَامَ أَبُو طَلْحَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ يَقُولُ: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا =

ولما نزل قول الحق سبحانه في تحريم الخمر بصورة نهائية قاطعة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[1]، قال الصحابة (رضي الله عنهم): "انْتَهَيْنَا يَا رَبِّ"[2].

ولا شك أن الجزاء من جنس العمل، فمن استجاب لله سبحانه بفعل أوامره واجتناب نواهيه؛ استجاب الله دعاءه، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾[3]، ويقول سبحانه: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ﴾[4]، ويقول تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[5].

ولما بلغ الأنبياءُ (عليهم السلام) الغاية في الاستجابة لله (عزَّ وجلَّ) كان

= مِمَّا تُحِبُّونَ}[آل عمران: ٩٢] وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لله أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ الله، فَضَعْهَا حَيْثُ أَرَاكَ الله، فَقَالَ: "بَخْ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ أَوْ رَايِحٌ وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ"، قَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ الله، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ، وَفِي بَنِي عَمِّهِ" ، صحيح البخاري ، كتاب الوصايا ، بَابُ إِذَا وَقَفَ أَرْضًا وَلَمْ يُبَيِّنِ الحُدُودَ فَهُوَ جَائِزٌ، وَكَذَلِكَ الصَّدَقَةُ، حديث رقم: ٢٧٦٩.

١) المائدة: ٩٠.

٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم، كِتَابُ الْأَشْرِبَةِ، حديث رقم: ٧٢٢٤.

٣) البقرة : ١٨٦.

٤) آل عمران: ١٩٥.

٥) غافر : ٦٠.

دعاؤهم أولى بالإجابة، يقول سبحانه في شأن نبيه نوح (عليه السلام): ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾[1]، ويقول (جل وعلا) في شأن نبيه أيوب (عليه السلام): ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ * فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾[2]، ويقول سبحانه في شأن زكريا (عليه السلام): ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ * فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[3]، ومن رُزِق الدعاء بصدق رُزِق الإجابة، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "مَا مِن مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ ليس فيها إثمٌ، ولا قطيعةُ رَحِمٍ؛ إلا أعطاه بها إحدى ثلاث: إِمَّا أَنْ يُعجِّلَ له دعوتَه ، وَإِمَّا أن يدَّخِرَها له في الآخرةِ ، وإما أن يَصرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مثلَها"[4].

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

١) الأنبياء: ٧٦.

٢) الأنبياء ٨٣ ، ٨٤.

٣) الأنبياء : ٨٩ ، ٩٠.

٤) مسند أحمد ، ١٧/ ٢١٣ ، حديث رقم:١١١٣٣.

لا شك أن الإعراض عن أمر الله (عزَّ وجلَّ)، وعدم الاستجابة له من أبرز صفات المنافقين، الذين وصفهم الله (عزَّ وجلَّ) بقوله: ﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴾[2].

أما المؤمنون الصادقون فقد ذكرهم الله (عزَّ وجلَّ) في مقام المدح والثناء ، حيث يقول سبحانه: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[3].

فما أحوجنا إلى الاستجابة لله ورسوله ، قبل أن يأتي يوم لا مفر منه ولا مرد، يقول سبحانه: ﴿ ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٖ يَوۡمَئِذٖ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ ﴾[4].

* * *

---

١) النور: ٤٨ :٥٠.

٢) الأحزاب : ٣٦.

٣) النور: ٥١ .

٤) الشورى : ٤٧ .

منهج القرآن في عمارة الكون

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾[1]، وأَشهدُ أن لَّا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فإن القرآن الكريم هو كتاب الله الخالد المعجز، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، وهو الذي لا يشبع منه العلماء، ولا تنقضي عجائبه، لم تلبث الجن إذ سمعته أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبًا * يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾[2] ، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا كَبِيرًا﴾[3]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم):"إنَّ لله أَهْلينَ منَ النَّاسِ، قالوا: يا رسولَ الله، من هُم؟ قالَ: هم أَهْلُ القرآنِ، أَهْلُ الله وخاصَّتُهُ"[4]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "خَيْرُكُمْ مَن تَعَلَّمَ القُرْآنَ وعَلَّمَهُ"[5].

---

1) هود: ٦١.

2) الجن: ١، ٢ .

3) الإسراء: ٩.

4) سنن ابن ماجه، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم ، بَابُ فَضْلِ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، حديث رقم: ٢١٥.

5) صحيح البخاري، كِتَابُ فَضَائِلِ القُرْآنِ، بَاب خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، حديث رقم: ٥٠٢٧.

وقد عُني القرآن الكريم بعمارة الكون عناية فائقة، فقد خلق الله (عزَّ وجلَّ) الإنسانَ، وسخَّر له الكون وما فيه؛ ليصلحه ويعمِّره، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾(١)، ويقول سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢)، ويقول سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٣)، ويقول تعالى: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾(٤) .

والمتأمل في القرآن الكريم يجده مفعمًا بالآيات الدالة على أهمية عمارة الكون وإصلاحه ، وتنميته ، والنهي الشديد عن إفساده وتخريبه بأي صورة من الصور، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾(٥)، أي: طلب منكم إعمارها وتنميتها، ويقول سبحانه: ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٦)، ويقول (عزَّ وجلَّ): ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

---

١) إبراهيم: ٣٢، ٣٣.

٢) الحج: ٦٥.

٣) الجاثية: ١٣.

٤) طه: ٥٣.

٥) هود: ٦١.

٦) الأنعام: ٤٨.

﴿يَحْزَنُونَ﴾[1]،ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[2]، ويقول (جل وعلا): ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾[3].

ومنهج القرآن الكريم في عمارة الكون منهج شامل لكل صور التنمية والإصلاح والإعمار ، فمن ذلك أمره بالسعي في الأرض والمشي في مناكبها ، واستخراج كنوزها وثرواتها وما أودع الله (عزَّ وجلَّ) فيها من خيرات وأقوات، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[4]، يقول ابن كثير (رحمه الله) : "يذكر الله نعمته على خلقه في تسخيره لهم الأرض وتذليلها لهم ، بأن جعلها قارَّةً ساكنةً لا تميد ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال ، وأنبع فيها من العيون ، وسلك فيها من السبل، وهيَّأ فيها من المنافع ومواضع الزروع والثمار ، ولهذا يجب المشي والسفر في أقطارها، والتردد في أرجائها بحثًا وسعيًا في طلب الرزق"[5].

وقد جاء الأمر بالسعي في الأرض طلبًا لعمارتها بعد الأمر بأداء العبادات ، حيث يقول سبحانه في شأن صلاة الجمعة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ

---

1) الأعراف: ٣٥.

2) القصص: ٧٧.

3) البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥.

4) الملك: ١٥.

5) تفسير ابن كثير، ٨/ ١٩٩.

مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [1]، وكان سيدنا عِرَاكُ بْنُ مَالِكٍ (رَضِيَ الله عَنْهُ) إِذَا صَلَّى الْجُمُعَةَ انْصَرَفَ فَوَقَفَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ:"اللهمَّ إِنِّي أَجَبْتُ دَعْوَتَكَ، وَصَلَّيْتُ فَرِيضَتَكَ، وَانْتَشَرْتُ كَمَا أَمَرْتَنِي ، فَارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ" [2].

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن دعوة القرآن الكريم إلى عمارة الكون تتطلب بذل الجهد في زراعة الأرض، حيث يقول الحق سبحانه في معرِض الامتنان على عباده : ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ * وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ * لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ﴾[3]، ويقول سبحانه : ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ * أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا * ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا * فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا * وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا * وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا * وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا * وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا * مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾[4].

---

١) الجمعة: ٩، ١٠.

٢) تفسير ابن كثير، ٨/ ١٤٨.

٣) يس: ٣٣-٣٥.

٤) عبس: ٢٤-٣٢.

وقد بيَّن نبينا (صلى الله عليه وسلم) فضل عمارة الكون بالزراعة ، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ"[1]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا"[2]، كما تتطلب إتقان العمل صناعة ، وحرفة ، ومهنة ، وتتطلب مراعاة القيم والأخلاق تجارة ، وبيعًا ، وشراء ، واقتضاء ، وتكافلًا ، وتراحمًا.

* * *

١) متفق عليه: صحيح البخاري ، كِتَاب الْمُزَارَعَةِ ، بَابُ فَضْلِ الزَّرْعِ وَالغَرْسِ إِذَا أُكِلَ مِنْهُ ، حديث رقم : ٢٣٢٠، وصحيح مسلم ، كِتَابُ الْمُسَاقَاةِ ، بَابُ فَضْلِ الْغَرْسِ وَالزَّرْعِ ، حديث رقم: ١٥٥٣.

٢) الأدب المفرد للبخاري ، بَابُ اصْطِنَاعِ الْمَالِ ، ص: ١٦٨.

عناية القرآن بالزمن وحديثه عن الأيام والسنين

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾[1]، وأَشهدُ أن لَّا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فإن المتأمل في القرآن الكريم يدرك أنه أولى الزمن عناية بالغة ، مما يدل على أهميته ، وضرورة اغتنامه بالأعمال الصالحة النافعة ، حيث أقسم الحق سبحانه في القرآن بأوقات مختلفة ، فقد أقسم سبحانه بالفجر، وأفرد له سورة سماها باسمه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ * وَلَيَالٍ عَشۡرٖ * وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ﴾[2]، وأقسم بالضحى، وأفرد له سورة سماها باسمه ، فقال : (عزَّ وجلَّ): ﴿وَٱلضُّحَىٰ * وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[3]، كما أقسم سبحانه بالعصر وأفرد له سورة باسمه ، فقال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ * إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾[4]، وأقسم سبحانه وتعالى بالصبح وبالليل وبالنهار، حيث يقول: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ﴾[5]، ويقول سبحانه: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا

---

١) النور: ٤٤.

٢) الفجر: ١-٣.

٣) الضحى: ١-٣.

٤) العصر: ١-٣.

٥) المدثر: ٣٤.

يَغْشَىٰ * وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾[1].

وقد جعل الحق سبحانه مرور الزمان والأيام والسنين آيةً على كمال علمه وقدرته، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾[2]، فالكون يسير وفق نظام دقيق بديع لا يتخلف ولا يضطرب ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ * وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ * لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[3]، ويقول سبحانه: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[4]، ويقول (جل وعلا): ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾[5].

---

١) الليل: ١، ٢.

٢) الإسراء: ١٢.

٣) يس: ٣٨– ٤٠.

٤) القصص: ٧١– ٧٣.

٥) فاطر: ١٣.

ويعظُم قدر الزمن وتشتد أهمية اغتنامه بما أكده القرآن العظيم من ربط أداء العبادات بأوقاتها المحدَّدة المشروعة، حيث يقول الحق سبحانه في شأن الصلاة: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾[2]، ويقول تعالى في شأن الصيام: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾[3]، ويقول تعالى في شأن الزكاة: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ﴾[4]، ويقول (جل وعلا) في شأن الحج: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞ﴾[5].

كما يرشدنا القرآن الكريم إلى الاعتبار بالأيام والسنين الماضية ، والنظر في عواقب الأمم السابقة ، حيث يقول سبحانه: ﴿فَهَلۡ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾[6]، ويقول سبحانه: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾[7]، ويقول تعالى: ﴿وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾[8]، يقول القرطبي في تفسيره:" عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُقَاتِلٍ: بِوَقَائِعِ

---

1) النساء: ١٠٣.

2) الإسراء: ٧٨.

3) البقرة: ١٨٥.

4) الأنعام: ١٤١.

5) البقرة: ١٩٧.

6) يونس: ١٠٢.

7) آل عمران: ١٤٠.

8) إبراهيم: ٥.

اللهِ فِي الْأُمَمِ السَّالِفَةِ، يُقَالُ: فُلَانٌ عَالِمٌ بِأَيَّامِ الْعَرَبِ ، أَيْ بِوَقَائِعِهَا، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: يَعْنِي الْأَيَّامَ الَّتِي انْتَقَمَ فِيهَا مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ، وَكَذَلِكَ رَوَى ابْنُ وَهْبٍ عَنْ مَالِكٍ قَالَ: بَلَاؤُهُ، وَقَالَ الطَّبَرِيُّ: وَعِظْهُمْ بِمَا سَلَفَ فِي الْأَيَّامِ الْمَاضِيَةِ لَهُمْ، أَيْ بِمَا كَانَ فِي أَيَّامِ اللهِ مِنَ النِّعْمَةِ وَالْمِحْنَةِ "[1].

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كما تحدث القرآن الكريم عن أيام الحياة الدنيا فإنه يذكرنا بأيام الآخرة؛ لنعمل لها أحسن العمل، ونستعد لها حق الاستعداد؛ فإلى الله سبحانه المصير، وإليه المرجع والمآب، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ *فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا* إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا *وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا *يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ *وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ *وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾[3]، ويقول تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾[4]، ويقول تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا *وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾[5]، ويقول (جل وعلا): ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ

---

١) تفسير القرطبي، ٩/ ٣٤٢، دار الكتب المصرية – القاهرة،١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

٢) البقرة: ٢٥٤.

٣) المعارج: ٤– ١٠.

٤) الحج: ٤٧.

٥) الطور: ٩، ١٠.

خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾[1].

فما أحوجنا إلى الوعي بقيمة الزمن ، والاعتبار بمرور الأيام والسنين ، ففي ذلك تذكرة وعظة ، ودافع إلى الجد والاجتهاد واغتنام الأعمار فيما ينفع النفس والبلاد والعباد ، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ﴾[2]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ "[3].

* * *

---

١) آل عمران: ٣٠.

٢) الفرقان: ٦٢.

٣) سنن الترمذي ، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ ، بَابٌ فِي الْقِيَامَةِ، حديث رقم: ٢٤١٧.

التحذير من الغفلة والبغتة في القرآن الكريم

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾[1]، وأَشهدُ أن لَّا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فإن الغفلة داءٌ عُضال يُنسِي الإنسانَ المهمةَ التي خُلق من أجلها، وهي عبادة الله سبحانه وإعمار الأرض ، يقول تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2]، ويقول (عزَّ وجلَّ): ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[3]؛ لذلك حذَّر الحقُّ سبحانه بني الإنسان من الغفلة منذ أن كانوا في عالم الذَّر، حيث يقول سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾[4]، وقد حذر الحق سبحانه من الغفلة والغافلين، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[5]، وقال (عزَّ وجلَّ): ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا * يَٰوَيْلَتَىٰ

(١) الأعراف: ٢٠٥.

(٢) الذاريات: ٥٦.

(٣) هود: ٦١.

(٤) الأعراف: ١٧٢.

(٥) الكهف: ٢٨.

﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا * لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا﴾[1].

وأهلُ الغفلة لا ينتفعون بالجوارح التي جعلها الله سببًا للهداية والعلم والفهم، فقلوبهم لا تعي الحق، وعيونهم لا تبصر آيات ربهم المنظورة والمسطورة، وآذانهم لا تسمع ما ينفع من أمور الدين والدنيا، يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾[3]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾[4].

وقد توعَّد سبحانه الغافلين في الآخرة بالعذاب الأليم ، حيث يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾[5]، ويقول تعالى:

(١) الفرقان: ٢٧- ٢٩.

(٢) الأعراف: ١٧٩.

(٣) الأعراف: ١٤٦.

(٤) النحل: ١٠٨.

(٥) يونس: ٧، ٨.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَاخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾[2].

أما علاج الغفلة فيكون بذكر الله تعالى ، وقراءة القرآن ، والإكثار من عمل الصالحات ؛ فبذلك تزول الغفلة ، وتحيا القلوب ، وتزكّى الأرواح ، يقول سبحانه: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾[3]، ويقول تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[4]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ قامَ بعشرِ آياتٍ لم يُكتب منَ الغافلينَ"[5].

والمؤمن الحق إذا أصابته غفلة سارع إلى التوبة واليقظة، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾[6]، ويقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾[7].

---

(1) مريم: ٣٩.

(2) الأنبياء: ٩٧.

(3) الأعراف: ٢٠٥.

(4) الإسراء: ٨٢.

(5) سنن أبي داود ، أَبْوَاب شَهْرِ رَمَضَانَ ، بَابُ تَحْزِيبِ الْقُرْآنِ ، حديث رقم: ١٣٩٨ .

(6) الأعراف: ٢٠١.

(7) آل عمران: ١٣٥،١٣٦ .

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

على العاقل أن يتيقظ لما يجب عليه من أمور دينه ودنياه ، لئلا يأتيه عقاب الله بغتة من غير استعداد، فيندم ويتحسر، يقول سبحانه: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[3]، ويقول سبحانه: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[4].

فما أحوجنا إلى اليقظة وتجنُّب الغفلة ؛ حتى نعمر دنيانا، ونستعد للقاء الله يوم القيامة ؛ فإنه لا يأتي إلا بغتة ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ

---

(١) الأنعام: ٣١.

(٢) الأنعام: ٤٤.

(٣) يوسف: ١٠٧.

(٤) الزمر: ٥٥– ٥٨.

أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾[1].

* * *

(١) الأعراف: ١٨٧.

أسماء يوم القيامة ودلالاتها
في القرآن الكريم

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾[1]، وأَشهدُ أن لَّا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فقد تحدث القرآن الكريم عن يوم القيامة وأحوال الناس فيه حديثًا كاشفًا لطبيعته، مفصلًا لكثير من أحداثه وأوصافه ، فهو يوم البعث ، ويوم النشور، ويوم الحساب، ويوم الفصل، ويوم الدين، ويوم التلاقِ، ويوم الحسرة، ويوم الوعيد، ويوم الخروج، ويوم التغابن، ويوم الجمع، ويوم التناد، ويوم الآزفة، ويوم الخلود، واليوم الحق، واليوم الموعود ، واليوم المشهود، والنبأ العظيم.

ولا شك أن تعدد أسماء يوم القيامة في القرآن الكريم يدل على عظم شأنه؛ ووجوب الاستعداد له، وقد تحدث القرآن الكريم عن بعض أسماء القيامة، وأبرزُها وأكثرها ذكرًا في القرآن الكريم هو لفظ "القيامة"، فقد ورد في الكتاب العزيز (٧٠) مرة، وسُميت باسمه إحدى سوره المشرفة، التي استهلها الحق سبحانه بقوله: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾[2]؛ تعظيمًا لشأنها، ويقول سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾[3]،

---

١) النساء: ٨٧.

٢) القيامة: ١.

٣) النساء: ٨٧.

ويقـول (عزَّ وجلَّ) : ﴿ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾[1] .

ويوم القيامة هو يوم الحساب ، ويوم الجزاء، ويوم العرض عليه سبحانه، إذ يقول تعالى: ﴿ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ * يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ * فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ * خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴾[3].

ويوم القيامة هو اليوم الحق، إذ يقول الحق سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴾[4]، والعاقل من يعمل لهذا اليوم حق العمل، ويتقي الله حق تقاته، إذ يقول الحق سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[5].

وكما تحدث القرآن الكريم عن القيامة تحدث عن الساعة التي غالبًا ما يأتي الحديث عنها في سياق بدء أحداث القيامة ، قاصرًا علمها على الله (عزَّ وجلَّ)

---

١) البقرة: ١١٣.

٢) الحاقة : ١٨.

٣) هود: ١٠٤– ١٠٨ .

٤) النبأ: ٣٩.

٥) آل عمران: ١٠٢.

وحده، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾[3].

وعندما سئل سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن الساعة أجاب (صلى الله عليه وسلم) بقوله: "مَا الْمَسْئولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ بِهَا مِنَ السَّائِلِ"[4]، وبهذا حسم نبينا (صلى الله عليه وسلم) قضية الإفتاء أو الفتوى أو الفتيا في أمر الساعة أو محاولة التنبؤ بها، فإذا كان رسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم) يقول: "مَا الْمَسْئولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ بِهَا مِنَ السَّائِلِ"، فمن ذا الذي يتجرأ على الله (عزَّ وجلَّ) بالخوض في أمرٍ توقَّفَ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن الحديث فيه! .

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

١) الأعراف: ١٨٧.

٢) فصلت: ٤٧.

٣) لقمان: ٣٤.

٤) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بَابُ سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَنِ الإِيمَانِ، وَالإِسْلاَمِ، وَالإِحْسَانِ، وَعِلْمِ السَّاعَةِ، حديث رقم: ٥٠، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَاب الْإِيمَانِ مَا هُوَ وَبَيَانُ خِصَالِهِ، حديث رقم: ٩.

إن السؤال الذي ينبغي أن نسأله جميعًا لأنفسنا : ماذا أعددنا لذلك اليوم العظيم؟ فقد سأل رجلٌ النبيَّ (صلى الله عليه وسلم): مَتَى السَّاعَةُ؟ فقال له (صلى الله عليه وسلم): "مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟"، قَالَ: حُبُّ الله ورسولِهِ ، قَالَ: "أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ" (١).

فعلينا أن ننشغل بإعداد أنفسنا للقاء الله (عزَّ وجلَّ) بإتقان العمل، والقيام بالرسالة والأمانة التي كلفنا الله (عزَّ وجلَّ)بها ، فقد جاء عن الفضيل بن عياض أنه سأل رجلًا : "كم عمرك؟ فقال الرجل: ستون سنة، قال الفضيل: إذًا أنت منذ ستين سنة تسير إلى الله تُوشِك أن تَصِل، فقال الرجل: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، فقال الفضيل: يا أخي، هل عرفتَ معناه، قال الرجل: نعم، عرفت أني لله عبد، وأني إليه راجع، فقال الفضيل: يا أخي، مَن عرف أنه لله عبد وأنه إليه راجع، عرف أنه موقوف بين يديه، ومَن عرف أنه موقوف عرف أنه مسؤول، ومَن عرف أنه مسؤول فليُعدَّ للسؤال جوابًا، فبكى الرجل، فقال: يا فضيل، وما الحيلة؟ قال الفضيل: يسيرة، قال الرجل: وما هي يرحمك الله؟ قال الفضيل: أن تتقيَ الله فيما بقي، يَغفِر الله لك ما قد مضى وما قد بقي(٢).

فحري بنا أن نسارع إلى فعل الخيرات النافعة للنفس وللبلاد والعباد ، حتى نجد ثواب ذلك يوم القيامة ، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ

---

١) متفق عليه، صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ الرَّجُلِ وَيْلَكَ ، حديث رقم:٦١٦٧، وصحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، بَابُ الْمَرْءِ مَعَ مَنْ أَحَبَّ ، حديث رقم: ٢٦٣٩.

٢) لطائف المعارف لابن رجب ، صـ ٣٠٣ ، ط: دار ابن حزم للطبع والنشر ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

حَاضِرًاۗ﴾ [1]، ويقول (عزَّ وجلَّ) : ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ * وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ [2].

* * *

---

1) الكهف: ٤٩ .

2) الزلزلة: ٧، ٨ .

حقوق ذوي الأرحام في القرآن والسنة

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[1]، وأَشهدُ أنْ لا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إِلَى يومِ الدِّينِ ، وبعد:

فإن المتأمل في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة يدرك أن صلة الرحم من أوجب الواجبات ، وآكد الطاعات ، يقول سبحانه : ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾[2]، ويقول سبحانه : ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾[3]، ويقول تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾[4]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ"[5].

---

(١) النساء: ١.

(٢) النساء: ٣٦.

(٣) النساء: ٨.

(٤) البقرة: ٨٣.

٥) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الأدب ، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه ، حديث رقم: ٦١٣٨ ، واللفظ له ، وصحيح مسلم ، كِتَابُ الْإِيمَانِ ، بَابُ الْحَثِّ عَلَى إِكْرَامِ الْجَارِ وَالضَّيْفِ، وَلُزُومِ الصَّمْتِ إِلَّا عَنِ الْخَيْرِ وَكَوْنِ ذَلِكَ كُلِّهِ مِنَ الْإِيمَانِ ، حديث رقم: ٧٤ .

ويكفي الرحمَ شرفًا أن الحق سبحانه شقَّ لها اسمًا مِن أسمائِهِ، ووعدَهَا بأن يصِلَ مَنْ وصلَهَا، ويقطعَ من قطعها، يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "إِنَّ الله خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتْ الرَّحِمُ فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ مِنْ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَذَاكِ لَكِ"[1].

والرحم شاهدة يوم القيامة للإنسان إن وصلها، وشاهدة عليه إن قطعها، يقول (صلى الله عليه وسلم): "وَكُلُّ رحِمٍ آتيةٌ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمَامَ صَاحِبها تَشْهَدُ لَهُ بِصِلةٍ إن كان وصَلَها، وعليه بقطيعةٍ إن كان قطَعَها"[2].

ولصلة الرحمة فضائل عظيمة في الدنيا والآخرة ، منها: الزيادة في الرزق والبركة في العمر ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ ؛ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ"[3]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "صلةُ الرحمِ ، وحسنُ الخلقِ ، وحسنُ الجوارِ ، يَعْمُرْنَ الدِّيارَ ، ويَزِدْنَ في الأَعْمَارِ"[4]، ومنها: دخول الجنة ، يقول (صلى الله عليه وسلم): "أيها الناس:

١) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَابُ الأَدَبِ ، بَابُ مَنْ وَصَلَ وَصَلَهُ الله، حديث رقم: ٥٩٨٧ ، وصحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها ، حديث رقم:٢٥٥٤ ، واللفظ له.

٢) الأدب المفرد للبخاري ، بَاب تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، حديث رقم: ٧٣.

٣) متفق عليه: صحيح البخاري ، كِتَابُ البُيُوعِ ، بَابُ مَنْ أَحَبَّ البَسْطَ فِي الرِّزْقِ ، حديث رقم: ٢٠٦٧، واللفظ له ، وصحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، حديث رقم: ٢٥٥٧.

٤) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا، ص: ١٠٣، حديث رقم: ٣٢٩.

أفشُوا السلامَ، وأطعِموا الطعام، وصِلُوا الأرحام، وصلُّوا بالليل والناسُ نِيام؛ تدخُلُوا الجنةَ بسلامٍ"[١]، ويقول (صلى الله عليه وسلم) لرَجُل سأله عن عَمَلٍ يُدْخِلُه الجَنَّةَ: "تَعْبُدُ الله ولَا تُشْرِكُ به شيئًا، وتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وتَصِلُ الرَّحِمَ"[٢].

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لقد أكد القرآن الكريم والسنة النبوية المشرَّفة على حقوق ذوي الأرحام تأكيدًا بالغًا، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[٣]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[٤]، فالنفقة على المحتاج من ذوي الأرحام من أوجب الحقوق ، وثوابها مضاعف ، يقول (عليه الصلاة والسلام): "الصدقةُ على المسكينِ صدقةٌ ، وعلى ذي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ صدقةٌ وصِلَةٌ"[٥].

---

١) سنن ابن ماجه ، كِتَابُ الْأَطْعِمَةِ ، بَابُ إِطْعَامِ الطَّعَامِ ، حديث رقم: ٣٢٥١.

٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ وُجُوبِ الزَّكَاةِ ، حديث رقم: ١٣٩٦، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة، وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة، حديث رقم: ١٣ .

٣) الإسراء: ٢٦.

٤) النحل: ٩٠.

٥) سنن الترمذي، أَبْوَابُ الزَّكَاةِ عَنْ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، بَابُ مَا جَاءَ فِي الصَّدَقَةِ عَلَى ذِي القَرَابَةِ، حديث رقم: ٦٥٨.

ولا شك أن الوحيين الشريفين كما بيَّنا فضل صلة الرحم وحقوق ذوي الأرحام ، فقد أكَّدا على التحذير من قطيعة الرحم تأكيدًا شديدًا، حيث يقول الحق سبحانه في كتابه الكريم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[2].

ويقول نبينا (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في بيان عقوبة قاطع الرحم: "مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ الله تَعَالَى لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا ، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِثْلُ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ"[3].

فما أحوجنا إلى تعميق الروابط الإنسانية بصلة الأرحام ؛ ففي ذلك كمال الإيمان، ورضا الرحمن، واستقرار المجتمعات، وارتقاء الأوطان.

* * *

---

1) محمد: ٢٢، ٢٣.

2) الرعد: ٢٥.

(3) سنن أبي داود، كِتَاب الْأَدَبِ ، بَابٌ فِي النَّهْيِ عَنِ البَغْيِ ، حديث رقم: ٤٩٠٢ .

هدي النبي (صلى الله عليه وسلم) في بيان منزلة الشهادة والشهداء

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ﴾[1]، وأَشهدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، وبعد :

فقد أرشد سيدُ الخلق (صلى الله عليه وسلم) أُمَّتَه إلى المقامات العالية ، والمنازل النبيلة السامية ؛ لذلك عُني نبينا (صلى الله عليه وسلم) ببيان منزلة الشهادة، وعلوّ مكانتها ، وسموّ قدرها ، ولا شك أنَّ الشهداءَ أبطالٌ ضحوا بأنفسهم راضين ، وبذلوا أرواحهم مطمئنين ؛ نصرةً للدين ، وحفاظًا على الوطن، فكان لهم الجزاء الجزيل من رب العالمين ، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ﴾[2]؛ ويقول سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾[3].

والشهداءُ أحياءٌ عند ربهم يُرزَقون ، أحياءٌ في ذاكرة الأمم والأوطان ، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ

---

١) الحديد: ١٩.

٢) الحديد: ١٩.

٣) التوبة: ١١١.

﴿يُرۡزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾[1]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " أَرْوَاحُهُمْ (أي الشهداء) فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ"[2].

ولعلو قدر الشهادة تمنى سيدُ الخلق (صلى الله عليه وسلم) الشهادة مرات، يقول (صلى الله عليه وسلم): "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ الله، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ"[3]، كما بيَّن (صلى الله عليه وسلم) أن الشهيد يتمنى العودة إلى الدنيا؛ لينال شرف القتل في سبيل الله مراتٍ ومرات، يقول (صلى الله عليه وسلم): " مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا ، وَلَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ الشَّهِيدُ ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا ، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ، لِمَا يَرَى مِنَ الكَرَامَةِ" [4].

ومن هدي نبينا الكريم (صلى الله عليه وسلم) مشاركة أسر الشهداء مشاعرهم، ومواساتهم المادية والمعنوية ، وتبشيرهم بدرجات الشهادة العالية ومنازلها الرفيعة ، فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله (رضي الله عنهما) قال: لَقِيَنِي رَسُولُ الله

1) آل عمران: ١٦٩، ١٧٠.

2) صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ بَيَانِ أَنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، حديث رقم: ١٨٨٧.

3) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب تمني الشهادة، حديث رقم: ٢٧٩٧ ، وصحيح مسلم، كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ فَضْلِ الْجِهَادِ وَالْخُرُوجِ فِي سَبِيلِ الله، حديث رقم: ١٨٧٦ .

4) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب تمني المجاهد أن يرجع إلى الدنيا، حديث رقم: ٢٨١٧ ، واللفظ له، وصحيح مسلم، كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ فَضْلِ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ الله تَعَالَى ، حديث رقم: ١٨٧٧ .

(صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ لِي: "يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله اسْتُشْهِدَ أَبِي وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا ، قَالَ : أَفَلا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ الله بِهِ أَبَاكَ؟ قَالَ : بَلَى يَا رَسُولَ الله ، قَالَ: مَا كَلَّمَ الله أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا، فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ ، قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً ، قَالَ الرَّبُّ (عزَّ وجلَّ) : إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ ، قَالَ : وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[1].

وعندما استُشهد سيدُنا جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) أمهلَ رسولُ الله (صلى الله عليه وسلَّم) أهلَه ثلاثةَ أيام ، ثم أتاهم فقال لهم : "لا تَبْكُوا على أَخِي بعدَ اليومِ"، ثم قال: ادعوا إليَّ بني أخي ، وخاطبهم قائلًا: "أمَّا محمَّدٌ فشَبيهُ عمِّنا أبي طالبٍ ، وأمَّا عبدُ الله فشَبيهُ خَلْقي وخُلُقي ، ثمَّ قال : اللهمَّ اخلُفْ جَعفَرًا في أهلِه، وبارِكْ لعبدِ اللهِ في صَفقةِ يَمينِه"، ثم جاءَت زوجة الشهيد سيدنا جعفر (رضي الله عنه) فذكَرَتْ لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) يُتْمَ أولادها، فقال لها (صلى الله عليه وسلم): العَيْلَةَ- أي : الفقرَ- تَخافينَ عليهم وأنا وليُّهم في الدُّنيا والآخرةِ؟![2].

* * *

---

١) سنن الترمذي ، أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، بَابٌ : وَمِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ ، حديث رقم : ٣٠١٠، والآية من سورة آل عمران : ١٦٩ .

٢) مسند أحمد، ٣/ ٢٧٩، حديث رقم : ١٧٥٠ .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

من جميل أقدار الله (عزَّ وجلَّ) أن توافق ذكرى انتصارات أكتوبر شهر ربيع الأول الذي نحتفي فيه بمولد الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وسلم) ؛ لتكون فرصة سانحة لتذكيرنا بهدي نبينا الكريم (صلى الله عليه وسلم) في تكريم الشهداء الذين ضحوا بأنفسهم من أجل الدفاع عن الأرض والعرض والوطن، وارتقوا بأرواحهم إلى الله (عزَّ وجلَّ) وفازوا برضوانه ، وللتذكير بفضل ومكانة مَن يسهرون على أمن الأوطان وأمانها ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ الله، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ الله"[1]، ويقول (صلى الله عليه وسلم):"أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِلَيْلَةٍ أَفْضَلَ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ؟ حَارِسٌ حَرَسَ فِي أَرْضِ خَوْفٍ لَعَلَّهُ لَا يَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ"[2].

على أننا نؤكد أن الوفاء لتضحيات شهدائنا يتطلب أن يكون كل واحدٍ منّا جنديًّا لهذا الوطن في مجاله، وأن يبذل أقصى طاقته في خدمة هذا الوطن العظيم، وأنْ نقف صفًّا واحدًا وعلى قلب رجلٍ واحدٍ خلف جيشنا وشرطتنا وسائر المؤسسات الوطنية ، راجين من الله الشهادة في سبيل الحق ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):" مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ "[3].

---

١) سنن الترمذي ، أَبْـوَابُ فَضَائِـلِ الْجِهَـادِ عَنْ رَسُـولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ) ، بَابُ مَا جَـاءَ فِي فَضْلِ الحَرَسِ فِي سَبِيلِ الله ، حديث رقم: ١٦٣٩ .

٢) السنن الكبرى للنسائي ، كِتَابُ السِّيَرِ ، فَضْلُ حَارِسِ الحَرَسِ ، حديث رقم : ٨٨١٧.

٣) صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِمَارَةِ ، بَابُ اسْتِحْبَابِ طَلَبِ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ الله ، حديث رقم: ١٩٠٩ .

مراحل وسمات بناء الشخصية في السنة النبوية

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[1]، وأَشهدُ أن لَّا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فقد حرص نبينا الكريم (صلى الله عليه وسلم) على بناء الشخصية السوية، التي تعمِّر وتبني، وتُصلح ولا تُفسِد، وفقَ الرسالة السامية التي دعا الإسلامُ إليها، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[2].

والمتأمل في السنة النبوية المشرَّفة يدرك أنها بيَّنت مراحل بناء الشخصية السوية، وأول هـذه المراحل: بناء العقيدة الإيمانية الراسخة، فالإيمان بالله يزرع في الشخصية الطمأنينـةَ والسكينةَ، ويـجعـل الإنسان في معية الله وحفظه؛ يقول سيدُنا جُنُدب بن عبد الله (رضِيَ اللهُ عنه): "كنَّا معَ النَّبيِّ (صلَّى الله عليهِ وسلَّمَ) ونحنُ فتيانٌ – قاربنا البلوغ- فتعلَّمنا الإيمانَ قبلَ أن نتعلَّمَ القرآنَ، ثمَّ تعلَّمنا القرآنَ فازددنا بِهِ إيمانًا"[3]، وعن سيدنا عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) قال: كنتُ خلفَ رسولِ الله (صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ) يومًا، فقال لي:" يا غلامُ ، إني

١) الأحزاب: ٢١.

٢) هود: ٦١.

٣) سنن ابن ماجه ، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم ، بَابٌ فِي الْإِيمَانِ ، حديث رقم: ٦١.

أعلِّمُك كلماتٍ: احفَظِ اللهَ يحفَظْك، احفَظِ اللهَ تجِدْه تُجاهَك، إذا سألتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعنْتَ فاستعِنْ بالله، واعلمْ أنَّ الأمةَ لو اجتمعتْ على أن ينفعوك بشيءٍ، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ لكَ، وإنِ اجتمعوا على أن يضُرُّوك بشيءٍ لم يضُروك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ عليك، رُفِعَتِ الأقلامُ، وجَفَّتِ الصُّحُفَ"[1]، ومن الطفولة إلى الشباب ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ:" سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله فِي ظِلِّهِ ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ الله ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ "[2].

وقد بنى نبيُّنا (صلى الله عليه وسلم) الشخصيةَ على التوازن بين حاجات الروح والجسد ، فلا إغراق في جانب دون آخر ، حيث يقول سبحانه: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾[3]، وتلك هي الوسطية التي أرشدنا إليها ديننا الحنيف ، حيث يقول سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ

---

١) سنن الترمذي ، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ ، باب بعده ، حديث رقم: ٢٥١٦.

٢) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كِتَابُ الأَذَانِ ، بابُ مَنْ جَلَسَ فِي المَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ وَفَضْلِ المَسَاجِدِ ، حديث رقم: ٦٦٠ ، واللفظ له ، وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب فضل إخفاء الصدقة ، حديث رقم: ١٠٣١.

٣) القصص: ٧٧.

﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[2]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[3]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) لسيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما):" صُمْ وأَفْطِرْ، وقُمْ ونَمْ، فإنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وإنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وإنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا"[4].

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

من أهم سمات بناء الشخصية: التمسك بالقيم النبيلة والأخلاق السامية، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا"[5]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): " اتَّقِ الله حَيْثُما كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحسنةَ تَمْحُها، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ"[6]، وبتلك الشخصيات السوية يتكون مجتمع صالح متماسك يسري الحب والتعاون بين أبنائه، وكان نبينا (صلى

---

١) البقرة: ١٤٣.

٢) الفرقان: ٦٧.

٣) الأعراف: ٣١.

٤) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَابُ الصَّوْمِ، بَابُ حَقِّ الجِسْمِ فِي الصَّوْمِ، حديث رقم: ١٩٧٥، وصحيح مسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به، حديث رقم ١١٥٩.

٥) سنن أبي داود، كِتَاب السُّنَّةِ، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ، حديث رقم: ٤٦٨٢.

٦) سنن الترمذي، أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي مُعَاشَرَةِ النَّاسِ، حديث رقم: ١٩٨٧.

الله عليه وسلم) يهتم بغرس الأخلاق والآداب والقيم في النفوس منذ عمر الطفولة، يقول سيدنا عمر بن أبي سلمة (رضي الله عنه): كُنْتُ غُلَامًا في حجْرِ رَسولِ الله (صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ) ، وكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ في الصَّحْفَةِ- أي: تتحرك في جوانب الإناءِ- فَقالَ لي رَسولُ الله (صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ) : " يا غُلَامُ ، سَمِّ الله، وكُلْ بيَمِينِكَ ، وكُلْ ممَّا يَلِيكَ"[1].

ومن أهم سمات بناء الشخصية أيضًا : المسئولية والإيجابية، والحرص على العمل، بل على إتقانه ، حيث يقول نبينا (عليه الصلاة والسلام):" الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى الله مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ ، وَاسْتَعِنْ بِالله وَلاَ تَعْجَزْ ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ الله وَمَا شَاءَ فَعَلَ ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ"[2].

❊ ❊ ❊

---

1) متفق عليه، صحيح البخاري، كِتَابُ الأَطْعِمَةِ، بَابُ التَّسْمِيَةِ عَلَى الطَّعَامِ وَالأَكْلِ بِاليَمِينِ، حديث رقم: ٥٣٧٦، وصحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامها، حديث رقم: ٢٠٢٢.

2) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله ، حديث رقم: ٢٦٦٤.

فضائل الصلاة على النبي
(صلى الله عليه وسلم)(*)

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾(١)، وأَشهدُ أنْ لَا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فإن الصلاة على سيد الخلق (صلى الله عليه وسلم) كنزٌ من كنوز الخيرات، وبابٌ عظيم من أبواب الطاعات، وفضائلُ الصلاة والسلام على سيد الأنام سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) لا تُحصى ولا تُعد، ولا يدرك عميمَ بركتها إلا من ذاق، فمن ذاق عرف، ومن عرف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ففيها راحة النفس والبال، وطمأنينة القلب، وانشراح الصدر، وتذوق حلاوة الإيمان؛ حيث يقول نبيّنا (صلى الله عليه وسلم): "ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِالله رَبًّا وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وسلم) رَسُولًا"(٢).

وقد أمرنا الحق سبحانه في كتابه العزيز بالصلاة على نبيه وصفوته من خلقه محمد (صلى الله عليه وسلم)، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى

(*) الخطبة مأخوذة من كتاب "الأدب مع سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)" لمعالي أ.د/ محمد مختار جمعة – وزير الأوقاف .

١) الأحزاب: ٥٦.

٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان، باب ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا، حديث رقم: ٥٦.

ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[1]، والصلاة من الله تعني الثناء والتعظيم، ومن الملائكة الاستغفار، ومن المؤمنين الدعاء.

ومن فضائل الصلاة على نبينا (صلى الله عليه وسلم) نيل رحمة الله (عزَّ وجلَّ) وعميم فضله، فالصلاة من الله تعالى تعني الرحمة منه على نبيه (صلى الله عليه وسلم)، وعلى من صلى عليه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، قَالَ: "مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا"[2].

وفي الصلاة على سيد الخلق (صلى الله عليه وسلم) تفريج الكروب، وإزالة الهموم، ومغفرة السيئات، ورفعة الدرجات، فقد قال سيدنا أبي بن كعب (رضي الله عنه): يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلاَةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاَتِي؟ فَقَالَ: مَا شِئْتَ، قُلْتُ: الرُّبُعَ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قُلْتُ: فَالنِّصْفَ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلاَتِي كُلَّهَا؟ قَالَ: إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ"[3]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): " ما مِن مُسلِمٍ يصلِّي عليَّ إلَّا صلَّت عليهِ الملائِكةُ ما صلَّى عليَّ، فليُقلَّ العَبدُ من ذلِكَ أو ليُكثِرْ"[4]، وأصبح رسـول الله (صلّى الله عليه وسلّم) يـومًـا طيّب النّفس يُرى

---

1) الأحزاب: ٥٦.

2) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) بعد التشهد ، حديث رقم: ٤٠٨.

3) سنن الترمذي، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ، باب بعده، حديث رقم: ٢٤٥٧.

4) سنن ابن ماجه، كِتَابُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَالسُّنَّة فِيهَا، بَابُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، حديث رقم: ٩٠٧.

في وجهه البشر، فقال الصحابة (رضي الله عنهم): يا رسول الله، أصبحت اليوم طيّب النّفس يُرى في وجهك البشر، قال : "أَجَلْ، أَتَانِي آتٍ مِنْ عِنْد رَبِّي (عزَّ وجلَّ)، فقال: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِكَ صَلَاةً كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَهَا"[١].

ومن فضائل الصلاة والسلام على نبينا (صلى الله عليه وسلم) تشريف المصلِّي على النبي (صلى الله عليه وسلم) بإبلاغِ سلامِهِ الرسولَ (صلى الله عليه وسلم)، وردّ الرسول (صلى الله عليه وسلم) عليه السلام؛ حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): "إنَّ لله ملائِكةً سيَّاحينَ في الأرضِ يبلِّغوني عَنْ أُمَّتِي السَّلامَ"[٢]، ويقول (صلى الله عليه وسلم):"مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلاَّ رَدَّ الله عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ"[٣].

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) سبب في إجابة الدعاء ، في الصلاة وغيرها ، حيث سَمِعَ رَسُولُ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ لَمْ يَحْمَدِ اللهَ (عزَّ وجلَّ)، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : "عَجِلَ هَذَا"، ثُمَّ دَعَاهُ ، فَقَالَ لَهُ :"إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ

---

١) مسند أحمد، ٢٦/ ٢٧٢، حديث رقم: ١٦٣٥٢.

٢)سنن النسائي، كِتَابُ السَّهْوِ، بَابُ السَّلَامِ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، حديث رقم: ١٢٨٢.

٣) سنن أبي داود ، كِتَاب الْمَنَاسِكِ ، بَابُ زِيَارَةِ الْقُبُورِ ، حديث رقم: ٢٠٤١.

فَلْيَبْدَأْ بِحَمْدِ رَبِّهِ (عزَّ وجلَّ) وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، ثُمَّ يَدْعُو بِمَا شَاءَ"[١]، ويقول سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): "إِنَّ الدُّعَاءَ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، لاَ يَصْعَدُ مِنْهُ شَيْءٌ حَتَّى تُصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّكَ صَلى الله عَليه وسَلم"[٢].

على أننا نؤكد أن الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) من علامات محبته (صلى الله عليه وسلم) وتوقيره وتعظيمه، فالمحب دائم الذِّكر لحبيبه، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ ﴾ [٣]، ويقول سبحانه: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[٤]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ ، وَوَلَدِهِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ" [٥].

* * *

---

١) السنن الكبرى للبيهقي، جماع أبواب صفة الصلاة ، باب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) في التشهد ، حديث رقم: ٢٨٥٤.

٢) سنن الترمذي، أَبْوَابُ الوِتْرِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، حديث رقم: ٤٨٦ .

٣) الأحزاب: ٦.

٤) الأعراف: ١٥٧.

٥) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَابُ الإِيمَانِ ، بَاب حُب الرَّسُولِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنَ الإِيمَانِ ، حديث رقم: ١٥، واللفظ له، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب وجوب محبة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، حديث رقم ٤٤ .

"خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ"

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَى الزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُولَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[1]، وأَشهدُ أنْ لَّا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فإن المساجد بيوت الله في الأرض، في رحابها يُعبَد الحقُّ سبحانه ويُذكَر، ويُتلَى كتابُه الكريمُ ويُتَدبَّر؛ لذلك أذن (جل وعلا) ببناء المساجد وتشييدها، ومَدَحَ أهلَها وعُمَّارَها، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ الزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): " مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لله بَنَى اللهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ مِثْلَهُ " [3].

---

١) التوبة: ١٨.

٢) النور: ٣٦-٣٨.

٣) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب من بنى مسجدًا ، حديث رقم: ٤٥٠، وصحيح مسلم ، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ ، بَابُ فَضْلِ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ وَالْحَثِّ عَلَيْهَا ، حديث رقم: ٥٣٣، واللفظ له.

كما كرَّم اللهُ سبحانه المساجدَ بأن أضافها إلى نفسه إضافةَ تشريف وتعظيم، وأخبر أنها أحب الأماكن إليه ، وأكرَم زُوَّارَها فجعلهم زُوَّارَهُ سبحانه، حيث يقول سبحانه: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[1]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "أَحَبُّ البِلادِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا" [2]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، إِلَّا كَانَ زَائِرَ اللهِ (عزَّ وجلَّ)، وَحَقٌّ عَلَى الْمَزُورِ أَنْ يُكْرِمَ زَائِرَهُ" [3]، فكيف بضيفٍ نزل بأكرم الأكرمين، وحلَّ ببيت رب العالمين؟! .

ويقول (صلى الله عليه وسلم): "صَلَاةُ الْجَمِيعِ – الْجَمَاعَةِ – تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وَأَتَى الْمَسْجِدَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْهُ خَطِيئَةً حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ، وَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَتْ تَحْبِسُهُ، وَتُصَلِّي عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ: اللهمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللهمَّ ارْحَمْهُ مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ"[4]، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : "مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ

---

1) الجن: ١٨.

2) صحيح مسلم، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ، بَابُ فَضْلِ الْجُلُوسِ فِي مُصَلَّاهُ بَعْدَ الصُّبْحِ، وَفَضْلِ الْمَسَاجِدِ، حديث رقم: ٦٧١.

3) المعجم الكبير للطبراني، ٦/ ٢٥٥، حديث رقم: ٦١٤٥.

4) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الصلاة في مسجد السوق، حديث رقم: ٤٧٧، واللفظ له، وصحيح مسلم، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ، بَابُ فَضْلِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ وَانْتِظَارِ الصَّلَاةِ، حديث رقم: ٦٤٩ .

رَاحَ ، أَعَدَّ الله لَهُ فِي الْجَنَّةِ نُزُلًا كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ"[1].

والمساجد بيوت المتقين ، تهفو إليها نفوسهم، وتطمئن فيها قلوبهم، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "الْمَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ، وَقَدْ ضَمِنَ اللهُ (عزَّ وجلَّ) لِمَنْ كَانَ الْمَسَاجِدُ بُيُوتَهُ الرَّوْحَ، وَالرَّحْمَةَ، وَالْجَوَازَ عَلَى الصِّرَاطِ" [2]، وذكر (صلى الله عليه وسلم) من السبعة الذين يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله " وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ" [3].

لذلك اشتدت عناية الإسلام بالحفاظ على المساجد وإبراز جمالها ورونقها، فأمرت بنظافتها، وأخذ الزينة عند القدوم إليها؛ رعايةً لمكانتها وقدسيتها، فذلك من تعظيم شعائر الله تعالى في القلوب، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾[4]، ويقول سبحانه: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾[5]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "اللهُ أَحَقُّ مَنْ

---

١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب فضل من غدا إلى المسجد ومن راح، حديث رقم: ٦٦٢ ، وصحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب من غدا إلى المسجد أو راح، حديث رقم: ٦٦٩ ، واللفظ له.

٢) المعجم الكبير للطبراني ، ٦/ ٢٥٤، حديث رقم: ٦١٤٣.

٣) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد ، حديث رقم : ٦٦٠، وصحيح مسلم ، كِتَاب الزَّكَاةِ ، بَابُ فَضْلِ إِخْفَاءِ الصَّدَقَةِ ، حديث رقم : ١٠٣١ .

٤) الحج: ٣٢.

٥) الأعراف: ٣١.

تَزَيَّنُ لَهُ ، أَوْ مَنْ تَزَيَّنْتَ لَهُ "[1]، وتقول السيدة عائشة (رضي الله عنها) : "أمَرَ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ببناء المساجِدِ في الدور- يعني: في القبائل- وأن تُنَظَّف وتُطيَّب"[2]، ولا أدلَّ على فضيلة الحفاظ على نظافة المساجد مِن تفقُّد نبينا (عليه الصلاة والسلام) أحوال المرأة التي كانت تنظف مسجده الشريف، وصلاته عليها بعد موتها .

كما أمرت الشريعة باجتناب ما يلوث المساجد ، أو يعكِّر صفوها وصفو أهلها ، وقد نهى النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يؤذي المصلي أحدًا برائحةٍ كريهة أو نحوها ، ولذلك دعا نبينا (صلى الله عليه وسلم) أنه من أراد أن يذهب إلى المسجد أن يتطهر ويتوضأ ، ويستحب له أن يمس طيبًا ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "مَن أَكلَ البصلَ والثُّومَ والكُرَّاثَ ، فلا يقرَبَنَّ مسجدَنا ؛ فإنَّ الملائِكةَ تتأذَّى مِمَّا يتأذَّى منهُ بنو آدَمَ"[3]، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : "إِنَّ الْمُصَلِّيَ يُنَـاجِي رَبَّـهُ ، فَلْيَنْظُـرْ مَا يُنَـاجِيهِ بِهِ ، وَلَا يَجْهَـرْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْقِرَاءَةِ"[4]، كما ورد النهي عن البيع والشراء في المسجد ، حيث يقول (صلى

---

١) مصنف عبد الرزاق الصنعاني ، كِتَابُ الصَّلَاةِ ، بَابُ مَا يَكْفِي الرَّجُلَ مِنَ الثِّيَابِ ، حديث رقم: ١٣٩١.

٢) سنن أبي داود، كتاب الصلاة ، باب اتخاذ المساجد في الدور ، حديث رقم: ٤٥٥ .

٣) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب ما يكره من الثوم والبقول ، حديث رقم: ٥٤٥٢، وصحيح مسلم ، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاة ، بَابُ نَهْيِ مَنْ أَكَلِ ثومًا أَوْ بَصَلًا أَوْ كُرَّاثًا أَوْ نَحْوَهَا ، حديث رقم: ٥٦٤ ، واللفظ له.

٤) شعب الإيمان للبيهقي، الشعبة التاسعة عشرة (تعظيم القرآن) ، حديث رقم: ٢٤١٠ .

الله عليه وسلم) عن المساجد: "إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ الله (عزَّ وجلَّ) وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ"(١).

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا شك أن العناية بنظافة المساجد وزينتها وبهائها؛ يسهم في أداء دورها ورسالتها على أكمل وجه، سواء أكان ذلك في مجال التعليم والتثقيف ونشر صحيح الدين، وتصحيح المفاهيم الخاطئة، أم في بناء القيم الإيمانية والروحية، ونشر مكارم الأخلاق .

كما تسهم تلك العناية في تألُّق دور المساجد المجتمعي، حيث يتعاون الناس على ما ينفع البلاد والعباد، في جوٍّ من التكافل والتراحم، وتفريج الكربات، وجبر الخواطر، ومواساة الفقراء والمساكين، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"(٢)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ،

---

١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، حديث رقم: ٦٠٢٥، وصحيح مسلم ، كِتَاب الطَّهَارَةِ ، بَابُ وُجُوبِ غُسْلِ الْبَـوْلِ وَغَيْرِهِ مِنَ النَّجَاسَاتِ إِذَا حَصَلَتْ فِي الْمَسْجِدِ، وَأَنَّ الْأَرْضَ تَطْهُرُ بِالْمَاءِ، مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى حَفْرِهَا، حديث رقم: ٢٨٥ ، واللفظ له.

٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم، حديث رقم: ٦٠١١، وصحيح مسلم ، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، حديث رقم: ٢٥٨٦ ، واللفظ له.

وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ" [1].

* * *

١) صحيح مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ، حديث رقم: ٢٦٩٩ .

فرائض الإسلام غاياتها ومقاصدها

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[1]، وأَشهدُ أن لا إلهَ إِلّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فلا شك أن فرائض الإسلام تحمل في مضامينها قيمًا جامعة، ومعاني أخلاقية سامية؛ ذلك لأن الإسلام قد ربط جميع العبادات بمكارم الأخلاق، بل إن نبينا (صلى الله عليه وسلم) جعل الغاية الأسمى من بعثته ورسالته هي إتمام صالح الأخلاق ومكارمها، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "إِنَّ الله بَعَثَنِي بِتَمَامِ مكارمِ الْأَخْلَاقِ، وكَمَالِ مَحَاسِنِ الْأَفْعَالِ"[2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، أَنَّ رَسُولَ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ"[3]، وعَن أَبِي هُرَيرة (رضي الله عنه)، عَن النَّبِيّ (صَلَّى الله عَلَيه وَسَلَّم) قال: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ"[4].

وما من فريضة شرعها الإسلام إلا ولها أثر يظهر على سلوك الفرد في سموِّهِ الأخلاقي إذا أداها على الوجه المراد، بل إن هذا الأثر يتعدى الفرد إلى المجتمع

---

١) البقرة: ٢١.

٢) المعجم الأوسط للطبراني،٧/ ٧٤، حديث رقم:٦٨٩٥.

٣) الأدب المفرد للبخاري، بَابُ حُسْنِ الخُلُقِ، حديث رقم:٢٧٣.

٤) مسند البزار ،١٥/ ٣٦٤، حديث رقم:٨٩٤٩.

وينعكس أثره عليه، ففي شأن الصلاة بيَّن القرآن الكريم أن الغاية منها غرس الفضائل، وتقويم السلوك، وتزكية النفوس، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ (١)،كما أشار الوحي الكريم إلى أثر إقامة الصلاة على مواقيتها في تعزيز قيمة احترام الوقت، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾(٢)، كما توعد الشرع الشريف من لا يدركون حقيقة الصلاة فيتصفون بسوء الأخلاق، ويمنعون الخير عن الناس بالعذاب الأليم، حيث يقول سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ * وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾(٣).

وأما الزكاة فمن مقاصدها تأكيد معاني التكافل والتراحم ، وتطهير النفس وتزكيتها من البخل والشح، وضغائن الأحقاد، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٤)، وقد حذر الإسلامُ المزكي والمتصدق من المن والأذى والرياء، وجعل تلك الأدواء من مبطلات العبادة، يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ

١) العنكبوت:٤٥.

٢) النساء: ١٠٣.

٣) الماعون: ٤– ٧.

٤) التوبة: ١٠٣.

﴿شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1].

والصوم غايته الكبرى تحقيق تقوى الله (عزَّ وجلَّ) ومراقبته في السر والعلن، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2] كما أنه يعوِّد المسلمَ الصبرَ ومحاسنَ الأخلاق، يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): " الصِّيَامُ جُنَّةٌ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَجْهَلْ، وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ"[3]، أما من لا يعرف حقيقة الصيام، ولا يحقق الغاية منه فليس له من ثواب صيامه نصيب، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: "مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ وَالجَهْلَ، فَلَيْسَ لله حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ"[4]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الجُوعُ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ"[5].

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

١) البقرة: ٢٦٤.

٢) البقرة: ١٨٣.

٣) صحيح البخاري، كتاب الصوم، بَابُ فَضْلِ الصَّوْمِ، حديث رقم: ١٨٩٤.

٤) صحيح البخاري، كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ قَوْلِ الله تَعَالَى: {وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ} [الحج: ٣٠]، حديث رقم: ٦٠٥٧.

٥) سنن ابن ماجه، كِتَابُ الصِّيَامِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْغِيبَةِ وَالرَّفَثِ لِلصَّائِمِ، حديث رقم: ١٦٩٠.

مما لا شك فيه أن الحج يغرس في النفوس الفضائل الحميدة ، والأخلاق الكريمة، ولا يؤتي الحجُّ ثمرتَه المرجوة ولا يكون مبرورًا يعود الحاج منه كيوم ولدته أمه، إلا إذا اجتنب صاحبه الرفث والفسوق والجدال، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[1]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ"[2]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"[3].

على أننا نؤكد أن الإسلام ليس مجرد طقوس لا ثمرة لها، ولا علاقة لها بالواقع، فيخرج المصلي من صلاته ليغش ويحتكر، ويؤذي جاره، أو يكذب أو يخون أو يخلف العهد أو الوعد، أو يرجع الحاج من حجه إلى ما كان عليه من التقصير، فقد أخبرنا نبينا (صلى الله عليه وسلم) عن المفلس الحقيقي يوم القيامة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، أَنَّ رَسُولَ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ؟ قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ ، فَقَالَ : إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ ، وَصِيَامٍ ، وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ

---

١) البقرة: ١٩٧.

٢) مسند أحمد،١٢/ ٣٨، حديث رقم: ٧١٣٦.

٣) سنن الترمذي، أبواب الحج، بَابُ مَا جَاءَ فِي ثَوَابِ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ، حديث رقم:٨١١.

حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ"[1]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا، وَصِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: "هِيَ فِي النَّارِ" ، قَالَ: يَا رَسُولَ الله، فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، وَصَلَاتِهَا، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ، وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: هِيَ فِي الْجَنَّةِ"[2].

* * *

---

١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم: ٢٥٨١.

٢) مسند أحمد، ١٥/ ٤٢١، حديث رقم: ٩٦٧٥.

حـق العـمـل

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكـريم: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[1]، وأَشهدُ أنْ لَّا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّـدًا عَبـدُه ورسوله، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسـانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فـإن العمـل ضرورةُ حيـاة ، بـه تعمـر الـدنيا ، وتتقـدم الأوطـان ، وتسـتقر المجتمعات؛ وعلى العمل وإتقانه حثَّ ديننا الحنيف ، حيث يقول الحق سـبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[2]، ويقـول تعـالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾[3]، وسُئِلَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : أيُّ كَسْـبِ الرَّجُـلِ أَطْيَـبُ؟ قَـالَ: "عَمَـلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ"[4]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "لأن يَحْتَطِـبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ" [5].

---

١) التوبة: ١٠٥.

٢) الجمعة: ٩، ١٠.

٣) الملك: ١٥.

٤) السنن الكبرى للبيهقي، كِتَابُ الْبُيُوعِ، بَابُ إِبَاحَةِ التِّجَارَةِ، حديث رقم: ١٠٣٩٨.

٥) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب كسب الرجل وعمله بيده ، حديث رقم: =

ويقول الحق سبحانه: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[3]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ"[4].

أما إهمال العمل والتقصير فيه فهو معصية لله ورسوله ، وخيانة للأمانة ، ومعول هدم وإهدار لطاقات البلاد وثرواتها ، ولا بد من مواجهته ومحاربته، حيث يقول الحق سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَوْفُوا بِٱلْعُقُودِ﴾[5]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[6]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "مَثَلُ القائِمِ علَى حُدُودِ الله والواقِعِ فيها، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا علَى سَفِينَةٍ، فأصابَ بَعْضُهُمْ أعْلاها وبَعْضُهُمْ

= ٢٠٧٤، واللفظ له ، وصحيح مسلم ، كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابُ كَرَاهَةِ الْمَسْأَلَةِ لِلنَّاسِ، حديث رقم: ١٠٤٢.

١) يونس: ٦١.

٢) التوبة: ١٠٥.

٣) النساء: ١.

٤) مسند أبي يعلى الموصلي ، ٧/ ٣٤٩، حديث رقم: ٤٣٨٦.

٥) المائدة: ١.

٦) الأنفال: ٢٧.

أَسْفَلَها، فَكانَ الَّذِينَ في أَسْفَلِها إذا اسْتَقَوْا مِنَ الماءِ مَرُّوا علَى مَن فَوْقَهُمْ، فقالوا: لو أنَّا خَرَقْنا في نَصِيبِنا خَرْقًا ولَمْ نُؤْذِ مَن فَوْقَنا، فإنْ يَتْرُكُوهُمْ وما أرادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وإنْ أخَذُوا علَى أيْدِيهِمْ نَجَوْا، ونَجَوْا جَمِيعًا" [1].

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن من حق العمل الحفاظ على المال العام، فهو ركيزة الأمم، به تُدير شُئونَها، وتقيم مؤسساتها، وتحفظ أرضها، وتقدم خدماتها، وترتقي بأفرادها، لذلك كان حفظه أحد الكليات الست التي جاء الشرع بالحفاظ عليها، وجعل حرمته أعظم من حرمة المال الخاص، فلا يجوز الاعتداء عليه استيلاءً، أو إفسادًا، أو إضاعة، أو تقصيرًا، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾[3]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم):"إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ الله بِغَيْرِ حَقٍّ،

---

١) صحيح البخاري، كتاب الشركة ، باب: هل يقرع في القسمة والاستهام فيه ، حديث رقم: ٢٤٩٣٠ .

٢) آل عمران: ١٦١ .

٣) النساء: ٢٩، ٣٠.

فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" [1].

إن من حق العمل تحقيق النفع العام للمجتمع، بعيدًا عن الأثرة والأنانية والسلبية ، وعن كل صور الفساد من الرشوة ، والمحسوبية ، والتزوير، والغش ، والتدليس ، وعدم الوفاء بحق العمل ، وغير ذلك من الأدواء الخبيثة ، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [2]، ويقول سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [3] ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ ، النَّارُ أَوْلَى بِهِ" [4]، فكل من أخذ أو يأخذ أو سيأخذ الأجر فسيحاسب على الوفاء بحق العمل ، وعليه أداء حق العمل كاملًا غير منقوص.

❊ ❊ ❊

---

١) صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب قول الله تعالى: {فأن لله خمسه وللرسول} [الأنفال: ٤١] ، حديث رقم: ٣١١٨.

٢) البقرة: ٦٠.

٣) البقرة: ٢٠٥.

٤) مسند أحمد، ٢٢/ ٣٣٢، حديث رقم: ١٤٤٤١.

دين السماحة والتيسير

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾(١)، وأَشهدُ أن لَّا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فإنَّ مظاهرَ العظمةِ في دينِنا الحنيف أكثرُ من أن تُحصَى أو تُعَد، وإن مِن أعظم ما تميَّز به الدين الإسلامي اليُسر والسماحة، فدينُنا عدلٌ كله، رحمةٌ كله، تيسيرٌ كله، سماحةٌ كله، إنسانيةٌ كله، وكلُّ ما يحقق هذه الغايات الكبرى فهو من صميم الإسلام، وما يصطدم بها أو يتصادم معها إنما يتعارض مع الإسلام وغاياته ومقاصده، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾(٢)، ويقول سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾(٣)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ"(٤)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أيسَرُهُ"(٥)، ويقول (صلى الله عليه وسلم):" إِنَّ الله تَعَالَى رَضِيَ لِهَذِهِ الأُمَّةِ الْيُسْرَ ،

---

١) البقرة: ١٨٥.

٢) الحج: ٧٨.

٣) البقرة: ٢٨٦.

٤) صحيح البخاري ، كِتَابُ الإِيمَانِ ، بَاب: الدِّينُ يُسْرٌ ، حديث رقم: ٣٩.

٥) مسند أحمد ، ٢٥/ ٢٨٤، حديث رقم: ١٥٩٣٦.

وَكَرِهَ لَهَا الْعُسْرَ" قَالَهَا ثَلاثًا[1]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "وَلَكِنِّي بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ "[2].

والمتدبر في حياة نبينا (صلى الله عليه وسلم) يدرك يقينًا أنه (صلى الله عليه وسلم) كان نعم القدوة لأمته وللإنسانية جمعاء في السماحة والتَّيسير، حيث يقول الحق سبحانه على لسان نبينا (صلى الله عليه وسلم): ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾[3]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ الله لم يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا، ولا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا" [4]، وتقول السيدة عائشة (رضي الله عنها): "مَا خُيِّرَ رَسُولُ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ"[5]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "إِنِّي لأَدْخُلُ فِي الصَّلاَةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا ، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاَتِي؛ مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِه"[6].

---

١) المعجم الكبير للطبراني ، ٢٠/ ٢٩٨، حديث رقم: ٧٠٧.

٢) مسند أحمد ، ٣٦/ ٦٢٤، حديث رقم: ٢٢٢٩١.

٣) سورة ص: ٨٦.

٤) صحيح مسلم، كِتَابُ الطَّلَاقِ، بَابُ بَيَانِ أَنَّ تَخْيِيرَ امْرَأَتِهِ لَا يَكُونُ طَلَاقًا إِلَّا بِالنِّيَّةِ، حديث رقم: ١٤٧٨.

٥) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَابُ المَنَاقِبِ، بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، حديث رقم: ٣٥٦٠، وصحيح مسلم، كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ مُبَاعَدَتِهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لِلْآثَامِ وَاخْتِيَارِهِ مِنَ الْمُبَاحِ، أَسْهَلَهُ وَانْتِقَامِهِ لله عِنْدَ انْتِهَاكِ حُرُمَاتِهِ، حديث رقم: ٢٣٢٧.

٦) متفق عليه: صحيح البخاري ، كِتَابُ الأَذَانِ ، بَابُ مَنْ أَخَفَّ الصَّلاَةَ عِنْدَ بُكَاءِ الصَّبِيِّ ، حديث رقم: ٧٠٩ ، واللفظ له ، وصحيح مسلم ، كِتَابُ الصَّلَاةِ ، بَابُ أَمْرِ الْأَئِمَّةِ بِتَخْفِيفِ الصَّلَاةِ فِي تَمَامٍ، حديث رقم: ٤٧٠.

والسماحةُ والتيسيرُ في ديننا الحنيف نَمَطٌ سائدٌ شاملٌ، ففي شأن الصلاة يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "يا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنكُم مُنَفِّرِينَ، فمَن أَمَّ النَّاسَ فَلْيَتَجَوَّزْ، فإنَّ خَلْفَهُ الضَّعِيفَ والكَبِيرَ وذَا الحَاجَةِ"[1]، ووجَّه نبيُّنا (صلى الله عليه وسلم) عمرانَ بن حصين (رضي الله عنه) عندما كان مريضًا، فقال له: "صَلِّ قَائِمًا، فإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ" [2]، ومن التيسير في العبادات رخصة جواز الإفطار في السفر، ومن اليسر والسماحة في الحج إعانة الضعفاء في الرمي، والتوسع في وقته، وجواز الإنابة في الرمي لغير القادرين، فما يسَّر نبينا (صلى الله عليه وسلم) في شيء أكثر من تيسيره على حجاج بيت الله (عزَّ وجلَّ) في قولته المشهورة: "افْعَلْ وَلا حَرَجٍ" [3].

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا شك أن الشريعة الإسلامية قد اتسمت باليُسر والسماحة في جانب المعاملات أيضًا، فرفعت المشقة والحرج بين الناس في البيع والشراء، والاقتضاء،

---

١) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَابُ الأَذَانِ ، بَابُ مَنْ شَكَا إِمَامَهُ إِذَا طَوَّلَ، حديث رقم: ٧٠٤ ، واللفظ له، وصحيح مسلم، كِتَابُ الصَّلَاةِ ، بَابُ أَمْرِ الْأَئِمَّةِ بِتَخْفِيفِ الصَّلَاةِ فِي تَمَامٍ، حديث رقم: ٤٦٦.

٢) صحيح البخاري، أَبْوَابُ تَقْصِيرِ الصَّلاَةِ، بَابُ إِذَا لَمْ يُطِقْ قَاعِدًا صَلَّى عَلَى جَنْبٍ، حديث رقم: ١١١٧.

٣) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ الفُتْيَا وَهُوَ وَاقِفٌ عَلَى الدَّابَّةِ وَغَيْرِهَا، حديث رقم: ٨٣، وصحيح مسلم، كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ مَنْ حَلَقَ قَبْلَ النَّحْرِ، أَوْ نَحَرَ قَبْلَ الرَّمْيِ، حديث رقم: ١٣٠٦.

حيث يقول الحق سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "رَحِمَ الله رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى"[3].

والسماحة في البيع تتطلب ألا يكون البائع مغاليًا في ربحه، أو محتكرًا لسلعته، أو مطففًا وزنَه، أو مستغلًّا أزماتِ الناس، كما تقتضي أن يكون المشتري سهلًا سمحًا مع البائع، فلا يبخس الناس أشياءهم، والسماحة في الاقتضاء: تعني أنْ يطلبَ الرجلُ حقَّه، أو دَيْنَه بلين ويُسر ورفق وسماحة.

وقد أخبر نبينا (صلى الله عليه وسلم) أن اليُسْرَ والسماحةَ في المعاملات من أسباب النجاة يوم القيامة، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ، قَالَ: قَالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ" [4]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ" [5]، وهكذا

---

١) النساء: ٢٩.

٢) البقرة: ٢٨٠.

٣) صحيح البخاري، كِتَابُ البُيُوعِ، بَابُ السُّهُولَةِ وَالسَّمَاحَةِ فِي الشِّرَاءِ وَالبَيْعِ، وَمَنْ طَلَبَ حَقًّا فَلْيَطْلُبْهُ فِي عَفَافٍ، حديث رقم: ٢٠٧٦.

٤) صحيح مسلم، كِتَابُ الْمُسَاقَاةِ، بَابُ فَضْلِ إِنْظَارِ الْمُعْسِرِ، حديث رقم: ١٥٦١.

٥) مسند أحمد، ٢٤/ ٢٧٩، حديث رقم: ١٥٥٢١.

السماحة في سائر المعاملات مع الناس جميعًا ، بيعًا وشراءً ، وقضاءً واقتضاءً، وتعايشًا وقبولًا للآخر.

فما أحوجنا إلى الوعي بعظمة الإسلام ، فهو دين السماحة واليسر، لا التواء فيه ، ولا تقعيد ، ولا تقعُّر ، لا لفظًا ولا مضمونًا.

* * *

حسن العشرة وحفظها

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[1]، وأَشهدُ أن لَّا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أَنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فإن حسن العشرة وحفظها من الأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة التي دعا إليها ديننا الحنيف، وذلك دأب النبلاء الطيبين، الأوفياء الصادقين، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[3]، ويقول (جل وعلا): ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾[4]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "وَمَنْ آتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ"[5].

والمتأمل في سيرة نبينا (صلى الله عليه وسلم) يجده نعم القدوة في حسن العشرة مع أهله وأصحابه ومع الناس جميعًا، فهو الذي وصفه ربه سبحانه بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم

---

١) آل عمران: ١٥٩.

٢) البقرة: ١٩٥.

٣) البقرة: ٢٣٧.

٤) الرحمن: ٦٠.

٥) سنن أبي داود ، كِتَاب الْأَدَبِ ، أَبْوَابُ النَّوْمِ ، بَابٌ فِي الرَّجُلِ يَسْتَعِيذُ مِنَ الرَّجُلِ ، حديث رقم: ٥١٠٩.

﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، وبقوله تعالى:﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[2] ، وبقوله سبحانه وتعالى : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[3]، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : "أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِن نَفْسِهِ؛ مَن تَرَكَ مَالًا فَلأَهْلِهِ ، وَمَن تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا، فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ"[4].

لذلك كان نبينا (صلى الله عليه وسلم) خيرَ الناس أبًا وزوجًا وجدًّا وصاحبًا (صلوات ربي وسلامه عليه)، فها هو (صلى الله عليه وسلم) يعين أهله ويساعدهم في حاجتهم ، ويقضي بعض وقته الشريف معهم لإدخال السرور عليهم، تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[5]، وقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا"[6]، وقوله (عليه الصلاة والسلام): "اتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ"[7] ، وقوله (صلى الله عليه وسلم) : " خَيرُكم خَيرُكم لأهلِه، وأنا خَيرُكم لأهلي"[8].

---

١) التوبة: ١٢٨.

٢) الأنبياء: ١٠٧.

٣) الأحزاب: ٦.

٤) صحيح مسلم، كِتَابُ الْجُمُعَةِ، بَابُ تَخْفِيفِ الصَّلَاةِ وَالْخُطْبَةِ، حديث رقم: ٨٦٧.

٥) النساء: ١٩.

٦) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ الوَصَاةِ بِالنِّسَاءِ، حديث رقم: ٥١٨٦، وصحيح مسلم، كِتَابُ الرِّضَاعِ ، بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالنِّسَاءِ، حديث رقم: ١٤٦٨.

٧) صحيح مسلم، كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ حَجَّةِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، حديث رقم: ١٢١٨.

٨) سنن الترمذي، أَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ الله، بَابٌ فِي فَضْلِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، حديث رقم: ٣٨٩٥.

وكان (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أبًا رحيمًا، وجدًّا ودودًا كريمًا، يقول أنس بْن مَالِكٍ (رضي الله عنه): "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ الله (صلى الله عليه وسلم)"[1]، وكان (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إذا دخلت عليه ابنته فاطمة (رضي الله عنها) قام لها وقبَّلها بين عينيها، وأجلسها في مجلسه[2]، بل كان يخصها ببعض أسراره إكرامًا لها وثقة فيها.

وعندما كان (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يخطب على المنبر وجد حفيدَيه السيِّدَين الحسن والحسين (رضي الله عنهما) يتعثران في المشي، فنزل من على منبره الشريف، واستلمهما وقبَّلهما، وقال: "نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا"[3]، وكان (عليه الصلاة والسلام) يصلِّي وَهوَ حاملٌ حفيدته أُمَامَةَ بنتَ السيدة زينبَ (رضي الله عنها)، فإذا سجدَ وضعَها، وإذا قامَ حملَها[4]، فما أرقَّ عشرتَه (صلى الله عليه وسلم) وأجملها!

---

١) صحيح مسلم، كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ رَحْمَتِهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الصِّبْيَانَ وَالْعِيَالَ وَتَوَاضُعِهِ وَفَضْلِ ذَلِكَ، حديث رقم: ٢٣١٦.

٢) سنن أبي داود، كتاب الأدب، أبواب النوم، بابٌ في القيام، حديث رقم: ٥٢١٧، وسنن الترمذي، أَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ فَاطِمَةَ (رَضِيَ الله عَنْهَا)، حديث رقم: ٣٨٧٢.

٣) سنن الترمذي ، أَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، بَابُ مَنَاقِبِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَالْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (رَضِيَ الله عَنْهُمَ)، باب منه، حديث رقم: ٣٧٧٤.

٤) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَابُ الصَّلاَةِ ، بَابُ إِذَا حَمَلَ جَارِيَةً صَغِيرَةً عَلَى عُنُقِهِ فِي الصَّلاَةِ، حديث رقم: ٥١٦، وصحيح مسلم، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلاَةَ ، بَابُ جَوَازِ حَمْلِ الصِّبْيَانِ فِي الصَّلَاةِ، حديث رقم: ٥٤٣.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا شك أن حفظَ العشرة وصيانةَ الجميل دليلُ وفاء الإنسان، وكرم أصله ومعدنه، وحُسن تديُّنِه، والأسوةُ في ذلك أيضًا المثل الأعلى للبشرية كلها نبيُّنا (صلى الله عليه وسلم) الذي كان وفيًّا لأهله ولأصحابه وكذلك مخالفيه، فتأتيه (صلى الله عليه وسلم) عَجُوزٌ، فيحسن إليها أعظم الإحسان، ويكرمها أشد الإكرام، وعندما تسأله السيدة عائشة (رضي الله عنها) عن ذلك، يقول (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَنَ خَدِيجَةَ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ"[1].

ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) في الأنصار الذين آووه وناصروا دعوته (صلى الله عليه وسلم): " لَوْلاَ الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا أَوْ شِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا"[2]، ويقول في شأن صديقه ورفيق حياته أبي بكر (رضي الله عنه): "إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ ومَالِهِ أبو بَكْرٍ، ولو كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِن أُمَّتي لَاتَّخَذْتُ أبَا بَكْرٍ، ولَكِنْ أُخُوَّةُ الإسْلَامِ ومَوَدَّتُهُ" [3]، ولم يكن ذلك مع أهله وأصحابه (صلى الله عليه وسلم) فحسب،

---

1) شعب الإيمان للبيهقي، الشعبة الثانية والستون (رد السلام)، حديث رقم: ٨٧٠١.

2) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَابُ التَّمَنِّي، بَابُ مَا يَجُوزُ مِنَ اللَّوْ، حديث رقم: ٧٢٤٥ ، وصحيح مسلم، كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابُ إِعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَتَصَبُّرِ مَنْ قَوِيَ إِيمَانُهُ ، حديث رقم: ١٠٦١ ، وورد في مسند أحمد ١٨/ ٢٥٥، حديث رقم: ١١٧٣٠، ولفظه:" وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا، وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللهمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ".

3) متفق عليه: صحيح البخاري ، كِتَابُ الصَّلاَةِ ، بَابُ الخَوْخَةِ وَالمَمَرِّ فِي المَسْجِدِ ، حديث رقم : =

إنما كان مع الناس عامة ، فعن السائب بن أبي السائب (رضي الله عنه)، قال: "أَتَيْتُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَجَعَلُوا يُثْنُونَ عَلَيَّ وَيَذْكُرُونِّي، فَقَالَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "أَنَا أَعْلَمُكُمْ" يَعْنِي بِهِ، قُلْتُ: صَدَقْتَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي: كُنْتَ شَرِيكِي فَنِعْمَ الشَّرِيكُ، كُنْتَ لَا تُدَارِي، وَلَا تُمَارِي"[1].

وكما كان (صلى الله عليه وسلم) يحفظ العشرة مع أهله وأحبابه، كان كذلك مع مخالفيه، ففي يوم بدر يتذكر (صلى الله عليه وسلم) الْمُطْعِمَ بْنَ عَدِيٍّ، ذلك الرجل الذي دخل النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) مكةَ في جواره بعد عودته من رحلة الطائف، فيقول (صلى الله عليه وسلم): "لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلاَءِ النَّتْنَى - يقصد أسرى يوم بَدر - لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ"[2].

فما أجمل أن نتصف بحسن العشرة وحفظها مع الأهل والزملاء والجيران والناس جميعًا، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ الله خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الجِيرَانِ عِنْدَ الله خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ"[3]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ" [4].

* * *

= ٤٦٦ واللفظ له، وصحيح مسلم، كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ)، بَابٌ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)، حديث رقم: ٢٣٨٢.

١) سنن أبي داود، كِتَاب الْأَدَبِ، بَابٌ فِي كَرَاهِيَةِ الْمِرَاءِ، حديث رقم: ٤٨٣٦.

٢) صحيح البخاري، كِتَابُ فَرْضِ الخُمُسِ، بَابُ مَا مَنَّ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَلَى الأُسَارَى مِنْ غَيْرِ أَنْ يُخَمِّسَ، حديث رقم: ٣١٣٩.

٣) سنن الترمذي، أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، بَابُ مَا جَاءَ فِي حَقِّ الجِوَارِ، حديث رقم: ١٩٤٤.

٤) سنن النسائي، كِتَابُ الْإِيمَانِ وَشَرَائِعِهِ، صِفَةُ الْمُؤْمِنِ، حديث رقم: ٤٩٩٥.

حق الزمالة والجوار

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[١]، وأَشهدُ أنْ لَّا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فإن إكرام الجار والإحسان إليه من كمال الإيمان ، وحُسن الإسلام ، وهو مما يوثِّق أواصر المودة والألفة ، ويشيع روح التعاون والتكافل في المجتمع ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ"[٢]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ"[٣]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "وأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا"[٤].

---

١) النساء: ٣٦.

٢) صحيح البخاري، كِتَابُ الأَدَبِ، بَاب مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، حديث رقم: ٦٠١٩.

٣) صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانِ ، بَابُ الْحَثِّ عَلَى إِكْرَامِ الْجَارِ وَالضَّيْفِ، وَلُزُومِ الصَّمْتِ إِلَّا عَنِ الْخَيْرِ وَكَوْنِ ذَلِكَ كُلِّهِ مِنَ الْإِيمَانِ، حديث رقم: ٧٧.

٤) سنن الترمذي، أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، بَاب: مَنْ اتَّقَى المَحَارِمَ فَهُوَ أَعْبَدُ النَّاسِ، حديث رقم: ٢٣٠٥.

وقد حذر الإسلام أشد التحذير من إيذاء الجار ، قولًا أو فعلًا أو بأي صورة من صور الإيذاء ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "وَالله لا يُؤْمِنُ ، وَالله لا يُؤْمِنُ ، قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ : "الَّذِي لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ "[1]، أي: شروره، وقد ذُكر لسيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) امرأة صوَّامة قوَّامة، تصوم النهار وتقوم الليل ، لكنها تؤذي جيرانها بلسانها ، فقال (صلى الله عليه وسلم) عنها: "هِيَ فِي النَّارِ"[2].

وللجوار صور متنوعة، حيث يقول الحق سبحانه في بيانها: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[3].

ومن أهم صور الجوار جوار الزمالة في العمل، سواء في الدراسة وطلب العلم، أم في العمل العام أو الخاص أيًّا كان نوع هذا العمل، إداريًّا، أم مهنيًّا، أم حِرَفِيًّا ، أم قياديًّا ، أم مجتمعيًّا أو تطوعيًّا ، فهي داخلة في معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ ، والزملاءُ في العمل أصحاب وجيران ، ينبغي أن تسود بينهم روح التآلف والتكامل ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "خَيْرُ

---

١) متفق عليه: صحيح البخاري ، كِتَابُ الأَدَبِ ، بَاب إِثْمِ مَنْ لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ ، حديث رقم: ٦٠١٦، واللفظ له ، وصحيح مسلم ، كِتَابُ الْإِيمَان ، بَاب بَيَانِ تَحْرِيمِ إِيذَاءِ الْجَارِ ، حديث رقم: ٧٣ .

٢) مسند أحمد ، ١٥/ ٤٢١، حديث رقم: ٩٦٧٥.

٣) النساء: ٣٦.

الأَصْحَابِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الجِيرَانِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ"[١].

ومن أهم حقوق الزمالة التعاون فيما بين الزملاء ، ونقل الخبرات ، والتناصح، وتبادل المعلومات بما يحقق صالح العمل وإتقانه على أكمل وجه ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ"[٢]، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : "وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ"[٣]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "الدِّينُ النَّصِيحَةُ"[٤].

ومنها: كف الأذى، والبعد عن أسباب التشاحن، والتباغض، والتحاقد، والغيبة والنميمة، والوقيعة بين الزملاء، فإن الأرزاق مقسومة وفق حكمة أرادها رب العالمين، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يَعبُدَهُ المُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ"[٥]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "نَفَثَ رُوحُ القُدُسِ فِي رَوْعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى تَستَكمِلَ أَجَلَهَا، وَتَستَوعِبَ رِزْقَهَا، فَأَجمِلُوا فِي الطَّلَبِ ، وَلَا يَحمِلَنَّكُمْ اسْتِبطَاءُ

---

١) سنن الترمذي، أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، بَابُ مَا جَاءَ فِي حَقِّ الجِوَارِ، حديث رقم: ١٩٤٤.

٢) مسند أبي يعلى الموصلي ، ٧/ ٣٤٩، حديث رقم: ٤٣٨٦.

٣) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَاب المَظَالِمِ وَالغَصْبِ، بَابٌ: لاَ يَظْلِمُ المُسْلِمُ المُسْلِمَ وَلاَ يُسْلِمُهُ، حديث رقم: ٢٤٤٢، وصحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، حديث رقم: ٢٥٨٠.

٤) صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانِ ، بَابُ بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، حديث رقم: ٩٥.

٥) صحيح مسلم، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابُ تَحْرِيشِ الشَّيْطَانِ وَبَعْثِهِ سَرَايَاهُ لِفِتْنَةِ النَّاسِ وَأَنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَرِينًا، حديث رقم: ٢٨١٢.

الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ لاَ يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلاَّ بِطَاعَتِهِ"[1].

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

من أهم حقـوق الزمـالة تفريج الكربات، والتكافل عند المهمات والملمات، بما يحقق معنى الجسد الواحد الذي أكَّد عليه الإسلام ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"[2]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ نَفَّس عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبةً منْ كُرب الدُّنْيا نفَّس الله عنْه كُرْبةً منْ كُرَب يومِ الْقِيامَةِ، ومَنْ يسَّرَ عَلَى مُعْسرٍ يسَّرَ الله عليْهِ في الدُّنْيَا والآخِرةِ ، ومَنْ سَتَر مُسْلِمًـا سَترهُ الله فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ ، والله فِي عَوْنِ العبْدِ مَا كانَ العبْدُ في عَوْن أَخيهِ"[3].

ومن حقوق الزمالة ضبط النفس وتحمُّل الأذى إن وقع من البعض، واحتساب الأجر في ذلك عند الله (عزَّ وجلَّ) ، يقول الحسن البصري رحمه الله :

---

١) المعجم الكبير للطبراني ، ٨/ ١٦٦، حديث رقم: ٧٦٩٤.

٢) متفق عليه: صحيح البخاري ، كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ رَحْمَةِ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ ، حديث رقم: ٦٠١١ ، واللفظ له ، وصحيح مسلم ، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ ، بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، حديث رقم: ٢٥٨٦.

٣) صحيح مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ، حديث رقم: ٢٦٩٩.

" لَيْسَ حُسْنُ الْجِوَارِ كَفّ الْأَذَى ، وَلَكِنَّ حُسْنَ الْجِوَارِ احْتِمَالُ الْأَذَى"[1]، فتَحَمُّلُ أذى الجار من شيم الكرام، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[3].

فما أحوجنا إلى الوعي بحق الجوار، بما يقوي أواصر النسيج الاجتماعي، ويحقق الاستقرار والأمن المجتمعي.

* * *

١) الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح، ٢/ ١٤.

٢) الشورى: ٤٣.

٣) فصلت: ٣٤.

التكافل المجتمعي واجب الوقت

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ﴾(1)، وأَشهدُ أن لَّا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، وبعد:

فإن التكافل المجتمعي قيمة إنسانية نبيلة ، بها يعم التآلف والتراحم بين الناس، وفي ظلها يتحقَّق استقرار الأوطان وتماسكها ، والمجتمعاتُ الراقيةُ مترابطةٌ متعاونةٌ يشدُّ بعضها بعضًا ، كما عبر عن ذلك نبينا (صلى الله عليه وسلم) بقوله : " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ ، وَتَرَاحُمِهِمْ ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى "(2)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا"، وَشَبَّكَ (صلى الله عليه وسلم) بَيْنَ أَصَابِعِهِ(3)، ولله در القائل:

كُونُوا جَمِيعًا يَا بَنِيّ إذَا اعْتَرَى ... خَطْبٌ وَلاَ تتفرقُوا آحَادًا

---

1) المائدة: 2.

2) متفق عليه: صحيح البخاري ، كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ رَحْمَةِ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ ، حديث رقم: ٦٠١١ ، وصحيح مسلم ، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ ، بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، حديث رقم: ٢٥٨٦، واللفظ له.

3) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَاب المَظَالِمِ وَالغَصْبِ، بَابُ نَصْرِ المَظْلُومِ، حديث رقم: ٢٤٤٦ ، واللفظ له ، وصحيح مسلم ، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، حديث رقم: ٢٥٨٥ .

تَأبى الرِّمَاحُ إذَا اجتَمَعْنَ تَكَسُّرًا وَإذَا افْتَرَقْنَ تَكَسَّرَتْ أَفْرَادًا[١]

وقد حثَّنا الشرع الحنيف على التكافل المجتمعي من خلال الدعوة إلى المسابقة في الخيرات بقضاء حوائج الناس، والسعي إلى تفريج كرباتهم ، في إخاء صادق، وعطاء كريم ، وتعاون على ما ينفع الناس ، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[٢]، ويقول سبحانه: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٣]، ويقول (جل وعلا): ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٤].

وقد دعانا نبينا (صلى الله عليه وسلم) إلى التكافل المجتمعي وحثنا عليه، حيث يقول: (عليه الصلاة والسلام): "مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ زَادَ لَهُ"، قَالَ الراوي: فَذَكَرَ (صلى الله عليه وسلم) مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لاَ حَقَّ لأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ[٥]، ويضرب لنا (صلى الله عليه وسلم) أروع الأمثلة في التكافل

---

١) تنسب هذه الأبيات لمعن زائدة، وللمهلب بن أبي صفرة، وللطغرائي في ديوانه .

٢) البقرة: ١٤٨.

٣) آل عمران: ١٣٣، ١٣٤.

٤) النساء: ١١٤.

٥) صحيح مسلم، كِتَابُ اللُّقَطَةِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ الْمُؤَاسَاةِ بِفُضُولِ الْمَالِ، حديث رقم: ١٧٢٨.

المجتمعي بالأشعريين، حيث يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا- نَفِدَ زادهم- أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ"(1)، فقد استحق هؤلاء الكرام ثناء نبينا (صلى الله عليه وسلم) ومحبته، حين استحضروا روح التعاون والأخوة الممزوجة بفضيلة المحبة والإيثار.

ولا شك أن قضاء حوائج الناس فضيلة دينية ووطنية، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانًا وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ"(2)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى الله تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى الله تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ ، أَوْ تَكَشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ – يَعْنِي: مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ – شَهْرًا... وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ الله قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامِ" (3).

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

1) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَاب الشَّرِكَةِ، بَابُ الشَّرِكَةِ فِي الطَّعَامِ وَالنِّهْدِ وَالعُرُوضِ، حديث رقم: ٢٤٨٦، وصحيح مسلم، كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ)، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ الْأَشْعَرِيِّينَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ)، حديث رقم: ٢٥٠٠ .

2) المعجم الكبير للطبراني ، ١/ ٢٥٩، حديث رقم: ٧٥١.

3) المعجم الكبير للطبراني، ١٢/ ٤٥٣، حديث رقم: ١٣٦٤٦ .

مما لا شك فيه أن التكافـل المجتمعي واجب الوقت ، حيث يستقبل الناس في هذه الأيام شهرَ رمضان ضيفًا كريمًا يأتي بالخير واليمن والبركات والنفحات، ويشمِّر الجميع فيه عن ساعد الجد في الطاعة والاجتهاد في العبادة، ومن أوجب ما يُستقبَل به هذا الشهر الفضيل التكافل المجتمعي، بإطعام الجائع، وكساء العاري، وإعانة المحتاج، حتى يطمئن الناس، وتتفرَّغ قلوبهم لاستقبال نفحات وبركات الشهر الكريم.

وقد وعد الله (تبارك وتعالى) أهل الفضل والخير والإنفاق الجزاءَ الجزيلَ والأجورَ المضاعفةَ ، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ * ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ (1)، ويقول سبحانه: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾(2)، ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾(3)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إِلَّا

1) البقرة: ٢٦١، ٢٦٢.

2) الحديد: ٧.

3) البقرة: ٢٦٧.

ملكانِ يَنْزِلَانِ ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللهمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا ، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللهمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا"[1].

* * *

١) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ قَوْلِ الله تَعَالَى: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى}[الليل: ٦]،"اللهمَّ أَعْطِ مُنْفِقَ مَالٍ خَلَفًا"، حديث رقم: ١٤٤٢ ، وصحيح مسلم، كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابٌ فِي الْمُنْفِقِ وَالْمُمْسِكِ، حديث رقم: ١٠١٠.

الكسب الحلال

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ﴾[1]، وأَشهدُ أن لَّا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، وبعد:

فإن ديننا الحنيف ينظر إلى العمل نظرة إكبار وتوقير، باعتباره سبيلًا للرقي والتقدم، والمتأمل في القرآن الكريم يجد الدعوة إلى السعي والجد والاجتهاد في طلب الرزق بينة واضحة، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[2]، ويقول سبحانه : ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3]، وكان سيدنا عِرَاكُ بْنُ مَالِكٍ (رضي الله عنه) إِذَا صَلَّى الْجُمُعَةَ انْصَرَفَ فَوَقَفَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ : اللهمَّ إِنِّي أَجَبْتُ دَعْوَتَكَ وَصَلَّيْتُ فَرِيضَتَكَ، وَانْتَشَرْتُ كَمَا أَمَرْتَنِي ، فَارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ[4].

على أن طلب الرزق في الإسلام قائم على أساس الكسب الحلال في إطار من الصدق ، والإيجاب والقبول ، والتراضي ، وعدم الغرر ، أو استغلال حاجات

---

١) البقرة: ١٧٢.

٢) الملك: ١٥.

٣) الجمعة: ١٠.

٤) تفسير ابن كثير ، ٤/ ٤٤١، ط دار الفكر .

الناس، حيث يقول نبينا (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : "كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ ، دَمُهُ ، وَمَالُهُ ، وَعِرْضُهُ"[١]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "لأَلْقِيَنَّ الله (عزَّ وجلَّ) مِنْ قَبْلِ أَنْ أُعْطِيَ أَحَدًا مِنْ مَالِ أَحَدٍ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسِهِ ، إِنَّمَا الْبَيْعُ عَنْ تَرَاضٍ"[٢].

والكسب الحلال سبب لحلول البركة والخير والنماء، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ؛ فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى"[٣]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا"[٤]، وسُئِلَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): عَنْ أَفْضَلِ الْكَسْبِ فَقَالَ: بَيْعٌ مَبْرُورٌ، وَعَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ"[٥]؛ ومَن عرف بركة الكسب الحلال لم تمتد عينه إلى

---

١) صحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ ، وَخَذْلِهِ، وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَالِهِ، حديث رقم: ٢٥٦٤.

٢) السنن الكبرى للبيهقي، كِتَابُ الْبُيُوعِ ، جُمَّاعُ أَبْوَابِ بُيُوعِ الْكِلَابِ وَغَيْرِهَا مِمَّا لَا يَحِلُّ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي بَيْعِ الْمُضْطَرِّ وَبَيْعِ الْمُكْرَهِ ، حديث رقم: ١١٠٧٥.

٣) متفق عليه: صحيح البخاري ، كِتَابُ الرِّقَاقِ ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "هَذَا الْمَالُ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ"، حديث رقم: ٦٤٤١، وصحيح مسلم ، كِتَاب الزَّكَاةِ ، بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى ، وَأَنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْفِقَةُ وَأَنَّ السُّفْلَى هِيَ الْآخِذَةُ، حديث رقم: ١٠٣٥.

٤) متفق عليه: صحيح البخاري ، كِتَابُ الْبُيُوعِ ، بَاب الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا ، حديث رقم: ٢١١٠، وصحيح مسلم ، كِتَابُ الْبُيُوعِ ، بَابُ الصِّدْقِ فِي الْبَيْعِ وَالْبَيَانِ ، حديث رقم: ١٥٣٢.

٥) مسند أحمد ، ٢٥/ ١٥٧، حديث رقم: ١٥٨٣٦.

الحرام أبدًا مهما كان كثيرًا ؛ لأن الحلال فيه بركة في النفس والمال والولد ، وراحة للضمير، وهدوء البال ، وباعث على السكينة والطمأنينة.

ولشرف الكسب الحلال يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ"[1]، وقد بلغ التاجر الصدوق تلك الدرجة لأن النفوس جُبِلت على حبِّ المال وهو من زينة الحياة الدنيا، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[2]، فمن يقاوم حب المال ويتغلب على نفسه وشهوته وزينة الحياة الدنيا ، وَيُؤْثِر الكسب الحلال على الحرام ، والباقية على الفانية ، والآخرة على الدنيا استحق بحق أن يكون مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا ؛ فهو أوثق فيما عند الله على ما هو في يده ، حيث يقول سبحانه: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾[3].

كما أن الكسب الحلال سبب لقبول الدعاء ، حيث قال نبينا (صلى الله عليه وسلم) لسعد بن أبي وقاص: " يَا سَعْدُ أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، إِنَّ الْعَبْدَ لَيَقْذِفُ اللُّقْمَةَ الْحَرَامَ فِي جَوْفِهِ مَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَأَيُّمَا عَبْدٍ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنَ السُّحْتِ وَالرِّبَا فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ "[4].

---

١) سنن الترمذي ، أَبْوَابُ الْبُيُوعِ عَنْ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، بَابُ مَا جَاءَ فِي التُّجَّارِ وَتَسْمِيَةِ النَّبِيِّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِيَّاهُمْ ، حديث رقم: ١٢٠٩.

٢) الكهف: ٤٦.

٣) الإسراء: ١٩.

٤) المعجم الأوسط للطبراني، ٦/ ٣١١، حديث رقم: ٦٤٩٥.

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين .

لا شك أن الكسب الحرام عواقبه وخيمة ، وآثاره خطيرة ، فهو يبدد الطاقات ، ويهدر الكفاءات ، ويعطل مصالح البلاد والعباد ، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا * وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾[١]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "إِنَّهُ لا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ"[٢].

فما أحوجنا إلى طلب الكسب الحلال طاعةً لرب العالمين ، وصيانةً للعرض والدين، وحفاظًا على نعمة الوطن .

❊ ❊ ❊

---

١) النساء: ٢٩، ٣٠.

٢) سنن الترمذي ، أَبْوَابُ السَّفَرِ ، بَابُ مَا ذُكِرَ فِي فَضْلِ الصَّلَاةِ ، حديث رقم : ٦١٤.

أخلاقيات البيع والشراء

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[1]، وأَشهدُ أنْ لَّا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فإنَّ دينَنا الحنيفَ دينُ الإنسانيةِ، وعمارةِ الكون، وصناعةِ الحياة، ولما كانت حياةُ الناس قائمةً على تبادل المنافع؛ أرشدنا دينُنا الحنيف إلى أخلاقيات البيع والشراء بما ينظم شئون الناس، ويوفِّر لهم الأمن الاجتماعي.

لذلك جاء الأمر بتحري الصدق والأمانة في البيع، حتى تتحقق البركة في الرزق، ويعم الخير في المجتمع، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا"[2]، ويقول سبحانه في الحديث القدسي: "أَنَا ثَالِثُ الشَّرِيكَيْنِ مَا لَمْ يَخُنْ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ، فَإِذَا خَانَهُ خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِهِمَا"[3]، ويقول (صلى الله عليه وسلم) في شأن التحذير من الكذب في البيع والشراء: "ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ: رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أُعْطِيَ وَهُوَ

---

١) التوبة: ١١٩.

٢) متفق عليه: صحيح البخاري ، كِتَابُ البُيُوعِ ، بَاب البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، حديث رقم: ٢١١٠، واللفظ له، وصحيح مسلم، كِتَابُ الْبُيُوعِ، بَابُ الصِّدْقِ فِي الْبَيْعِ وَالْبَيَانِ، حديث رقم: ١٥٣٢.

٣) سنن أبي داود ، كِتَاب الْبُيُوعِ ، بَابٌ فِي الشَّرِكَةِ ، حديث رقم: ٣٣٨٣.

كَاذِبٌ"[1]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَلِفِ فِي الْبَيْعِ؛ فَإِنَّهُ يُنَفِّقُ، ثُمَّ يَمْحَقُ"[2].

ولما كان الصدق والأمانة في البيع والشراء دليلًا على صدق إيمان المرء بربه، وحسن مراقبته له، قال (صلى الله عليه وسلم): "التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ ، وَالصِّدِّيقِينَ ، وَالشُّهَدَاءِ"[3]، وقال (صلى الله عليه وسلم) : "التَّاجِرُ الصَّدُوقُ تَحْتَ ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[4]، وقال (صلى الله عليه وسلم) : "لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ"[5].

كما حثنا الشرع الحنيف على السماحة في البيع والشراء ، حيث يقول نبينا (عليه الصلاة والسلام):"رَحِمَ الله رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى"[6]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ"[7]، وأكد نبينا (صلى الله عليه وسلم) أَنَّ

---

١) صحيح البخاري ، كِتَاب الْمُسَاقَاةِ ، بَابُ مَنْ رَأَى أَنَّ صَاحِبَ الحَوْضِ وَالقِرْبَةِ أَحَقُّ بِمَائِهِ ، حديث رقم: ٢٣٦٩.

٢) صحيح مسلم، كِتَابُ الْمُسَاقَاةِ ، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْحَلِفِ فِي الْبَيْعِ ، حديث رقم: ١٦٠٧.

٣) سنن الترمذي، أَبْوَابُ الْبُيُوعِ عَنْ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، بَابُ مَا جَاءَ فِي التُّجَّارِ وَتَسْمِيَةِ النَّبِيِّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِيَّاهُمْ، حديث رقم: ١٢٠٩.

٤) الترغيب والترهيب للمنذري ، ٢/ ٣٦٥، حديث رقم: ٢٧٤٦.

٥) مسند أحمد ، ١٩/ ٣٧٦، حديث رقم: ١٢٣٨٣.

٦) صحيح البخاري، كِتَابُ البُيُوعِ، بَابُ السُّهُولَةِ وَالسَّمَاحَةِ فِي الشِّرَاءِ وَالبَيْعِ، وَمَنْ طَلَبَ حَقًّا فَلْيَطْلُبْهُ فِي عَفَافٍ، حديث رقم: ٢٠٧٦.

٧) سنن الترمذي، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ، باب منه، حديث رقم: ٢٤٨٨.

مماطلةَ الغنيِّ في سداد ما عليه ظلمٌ، فقال (صلى الله عليه وسلم): "مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ"[1]؛ وذلك لأنه يحبس المال عن أهله وعن حركة الحياة.

وقد نهى نبينا (صلى الله عليه وسلم) عن الغش والتدليس، فتلك أدواء خطيرة، يمتد خطرها ليشمل المجتمع كله، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا"[2]، وفي الحديثِ النهيُ عن مطلق الغش؛ إذ لا يليق بالمؤمن ولا بالشخص الكريم أن يكون غشاشًا أصلًا ، لا مع المسلم ولا مع غير المسلم ، حيث يقول سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا * وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾[3]، ولله درُّ القائلِ:

أَيَا بَائِعًـا بالغـشِّ أَنــتَ مُـعَـرَّضٌ ... لِدَعوَةِ مَظْلُومٍ إلى سَـامِـعِ الشَّكْوَى

فَكُلْ مِنْ حلالٍ وارْتدِعْ عن مُحَرَّمٍ ... فَلسْت على نارِ الجحِيمِ غـدًا تَـقْـوَى

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

١) متفق عليه: صحيح البخاري ، كِتَاب الحـوَالَاتِ ، بَابُ الحَوَالَةِ ، وَهَلْ يَرْجِعُ فِي الحَوَالَةِ؟، حديث رقم: ٢٢٨٧، وصحيح مسلم ، كِتَابُ الْمُسَاقَاةِ ، بَابُ تَحْرِيمِ مَطْلِ الْغَنِيِّ ، وَصِحَّةِ الْحَوَالَةِ ، وَاسْتِحْبَابِ قَبُولِهَا إِذَا أُحِيلَ عَلَى مَلِيٍّ ، حديث رقم: ١٥٦٤.

٢) سنن الترمذي ، أَبْوَابُ الْبُيُوعِ عَنْ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، بَابُ مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ الغِشِّ فِي البُيُوعِ ، حديث رقم: ١٣١٥، ورواه مسلم بلفظ: " وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا".

٣) النساء: ٢٩ ،٣٠.

لا شك أن الاحتكار يحمل في طياته بذور تدمير المجتمع ؛ بما يسببه من غلاء في الأسعار ، وتضييقٍ على الناس ، باستغلال حاجاتهم ، والمتاجرة بأزماتهم ؛ لذلك اشتد نهي نبينا (صلى الله عليه وسلم) عنه وتحذيره منه ، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : "الْمُحْتَكِــرُ مَلْعُــونٌ"[1]، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : "لَا يَحْتَكِرُ إِلَّا خَاطِئٌ"[2]، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ دَخَلَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْعَارِ الْمُسْلِمِينَ لِيُغْلِيَهُ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يُقْعِدَهُ بِعُظْمٍ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[3].

على أننا نؤكد أن الغاشَّ والمدلِّسَ والمحتكرَ كسبُهم حرام خبيثٌ ، ممحوقُ البركة في الدنيا والآخرة ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ الله بِغَيْرِ حَقٍّ ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[4]، ويقـول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ جَمَعَ مَالًا حَرَامًا ، ثُمَّ تَصَدَّقَ بِهِ ، لَمْ يَكُنْ له فيه أجر ، وكـان إصره عليه"[5].

---

١) سنن ابن ماجه ، كِتَابُ التِّجَارَاتِ ، بَابُ الْحُكْرَةِ وَالْجَلْبِ ، حديث رقم: ٢١٥٣ ، والمستدرك على الصحيحين للحاكم ، كِتَابُ الْبُيُوعِ ، حديث رقم: ٢١٦٤.

٢) صحيح مسلم ، كِتَابُ الْمُسَاقَاةِ ، بَابُ تَحْرِيمِ الِاحْتِكَارِ فِي الْأَقْوَاتِ ، حديث رقم: ١٦٠٥.

٣) مسند أحمد ، ٣٣/ ٤٢٦، حديث رقم: ٢٠٣١٣.

٤) صحيح البخاري ، كِتَابُ فَرْضِ الْخُمُسِ ، بَابُ قَوْلِ الله تَعَالَى: {فَأَنَّ لله خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ}[الأنفال: ٤١]، حديث رقم: ٣١١٨.

٥) صحيح ابن حبان ، كِتَابُ الزَّكَاةِ ، بَابُ صَدَقَةِ التَّطَوُّعِ ، ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ الْمَالَ إِذَا لَمْ يَكُنْ بِطَيِّبٍ أُخِذَ مِنْ حِلِّهِ لَمْ يُؤْجَرِ الْمُتَصَدِّقُ بِهِ عَلَيْهِ ، حديث رقم: ٣٣٦٧.

ونؤكد أنَّ المؤمنَ الحق هو من يراعي حقوق العباد في بيعه وشرائه ؛ لتكون تجارته نافعة ، ومكسبه طيبًا حلالًا ، وأن التاجر الخَلُوقَ يرفعه صدقه وأمانته وحرصه على المجتمع ومراعاته لظروف الناس ، أعظم مما ترفعه صلاتُه وصيامُه وصدقتُه.

* * *

{ادْخُلوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً}
السلام النفسي والمجتمعي والدولي

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[1]، وأَشهدُ أن لَّا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فإن السلام غاية إنسانية نبيلة، وقضية راسخة في الفكر الإسلامي، فالإسلام دين السلام، وربنا (جل وعلا) هو السلام، ونبينا (صلى الله عليه وسلم) نبي السلام، وتحية المسلمين في الدنيا والآخرة السلام، والجنة هي دار السلام، وتحية أهل الجنة في الجنة السلام، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ﴾[3]، ويقول سبحانه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[4]، ويقول (جل وعلا): ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ﴾[5]، ويقول

---

١) البقرة: ٢٠٨.

٢) البقرة: ٢٠٨.

٣) الحشر: ٢٣.

٤) التوبة: ١٢٨.

٥) الأحزاب: ٤٤.

تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[1]، ويقول (عزَّ وجلَّ): ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾[2].

والمسلم الحق يحقِّق السلام مع نفسه، وينشر السلام في مجتمعه، وفي العالم أجمع، فالسلام النفسي يجعل الإنسان يعيش في جوٍّ من السكينة والطمأنينة، ومحبة الخير للغير، وسلامة الصدر، فلا يحقد، ولا يحسد، ولا يغش، ولا يخون، وتراه مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[3] ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "الْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ ويُؤْلَفُ ، وَلا خَيْرَ فِيمَنْ لا يَأْلَفُ وَلا يُؤْلَفُ"[4]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"[5] ، ويقول (عليه الصلاة والسلام): "إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ الله مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ الله مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ"[6].

---

١) الأنعام:١٢٧.

٢) يونس: ١٠.

٣) الرعد: ٢٨.

٤) المعجم الأوسط للطبراني، ٦/ ٥٨، حديث رقم: ٥٧٨٧.

٥) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَابُ الإِيمَانِ ، بَاب مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، حديث رقم: ١٣، واللفظ له ، وصحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مِنْ خِصَالِ الْإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ، حديث رقم: ٧١.

٦) سنن ابن ماجه، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، بَابُ مَنْ كَانَ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ، حديث رقم: ٢٣٧.

وكما أن المسلمَ الحقَّ سلامٌ مع نفسه فهو سلام مع مجتمعه، منضبطٌ في معاملاته مع الناس جميعًا على اختلاف معتقداتهم، يعتقد بأن فلسفة السـلام في الإسلام تنبع من أنه دين يعدل بين الناس جميعًا في الحقوق وفي الواجبات، ويؤمن بقبول الآخر والمختلف، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[3]، أي : لتتعارفوا وتتعاونوا وتتكاملوا ، فتُصان الدماء في المجتمع ، وتُحفَظ الأعراض والأموال ، ويعيش المجتمع في مناخ من العدل والوفاء، فيتوفَّر الأمن والاستقرار ، وتتحَقَّق التنمية والرخاء والازدهار.

ولا أدلَّ على أهمية تحقيق السلام المجتمعي من "وثيقة المدينة" التي أبرمها نبينا (صلى الله عليه وسلم) مع يهود المدينة ، حيث تُعَدُّ هذه الوثيقة أفضل نموذج في تاريخ البشرية للعيش الإنساني السلمي المشترك ، والسلام بين أبناء المجتمع الواحد على اختلاف دياناتهم ومعتقداتهم ، في إطار من الإنسانية الراقية، والمواطنة المتكافئة ، ونشر قيم الرحمة والتكافل والتعاون والتسامح.

* * *

١) هود: ١١٨، ١١٩.

٢) البقرة: ٢٥٦.

٣) الحجرات: ١٣.

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا شك أن تحقيق السلام العالمي مطلب إنساني ووطني، وضرورة حضارية راسخة، وأصل ثابت عمَّق الإسلامُ جذورَه في نفوس الناس، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ" [1]، فقد وجّه النبي (صلى الله عليه وسلم) حديثه إلى الناس جميعًا، لا إلى المسلمين وحدهم، كما أنه (صلى الله عليه وسلم) قدَّم إفشاء السلام على إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام؛ تأكيدًا على مكانة السلام وأهميته للبشرية قاطبة، لينعموا معًا بالأمن والسعادة، ويحرصوا جميعًا على نشره في الأرض.

على أننا نؤكد أن النظرة المتكاملة للسلام العالمي تتطلب التنسيق مع محبي السلام من كل الأديان والحضارات والثقافات، طالما أنَّ الجامعَ المشتركَ هو حُبُّ السلام والحوار والرغبة فيه، والعمل على إحلاله محل القتال والاحتراب في العالم كله، في إطار من الأسس الإنسانية الخالصة التي تؤمن بحق الإنسان في حرية المعتقد، وفي الحفاظ على دمه وعرضه وماله ، وفي الحياة الكريمة دون تمييز على أساس الدين أو اللون أو الجنس أو العرق.

* * *

١) سنن ابن ماجه، كِتَابُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَالسُّنَّةُ فِيهَا، بَابُ مَا جَاءَ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ، حديث رقم: ١٣٣٤.

السلام مع النفس والمجتمع والبيئة والكون

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[1]، وأَشهدُ أن لَّا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أَنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إِلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فإن دينَنا الحنيفَ دينُ السلام، ونبيَّنا (صلى الله عليه وسلم) نبيُّ السلام، وتحيتَنا في الدنيا سلام، والجنة هي دار السلام، وتحية أهل الجنة في الجنة السلام، وتحية الملائكة لهم سلام، حيث يقول (عزَّ وجلَّ): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾[2]، ويقول سبحانه ﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ﴾[3]، ويقول تعالى:﴿وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ﴾[4]، ويقول تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ * سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾[5].

ولمكانة السلام وشرفه سمَّى ربُّنا (عزَّ وجلَّ) نفسَه "السلام"، فقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾[6]، وكان من دعاء نبينا

---

1) يونس: ٢٥.

2) البقرة: ٢٠٨.

3) الأنعام: ١٢٧.

4) يونس: ١٠.

5) الرعد: ٢٣، ٢٤.

6) الحشر: ٢٣.

(صلى الله عليه وسلم) عقب كل صلاة: "اللهُـمَّ أَنْـتَ السَّـلَامُ وَمِنْـكَ السَّـلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ"[1].

والمسلم الحقيقي ودود، سهل، هين، لين، يألَف ويؤلَف، متسامح مع نفسه، ومع أهله وذويه ، ومع جيرانه وأصدقائه ، ومع مجتمعه ، بل مع النـاس أجمعـين، سخي كريم، يحب الخير للناس جميعًا، ويشاركهم فيه ، ويسهم في كل مـا يحقـق التراحم والتكافل المجتمعي، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسـلم): "المُـؤمِنُ يـألَفُ ويُؤلَـفُ، ولا خـيرَ فـيمَنْ لا يـألَفُ ولا يُؤلَـفُ، وخـيرُ النَّـاسِ أنفَعُهـم للنَّاسِ"[2]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيـهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"[3]، ويقول (عليه الصلاة والسلام): "الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ"[4]، فلا يغـش ولا يخـون، ولا يسـتغل، ولا يحتكـر، ولا يهـدم، ولا يخرِّب، ولا يكذب، ولا يرمي الناس بالإفـك والبهتـان ظلـمًا وزورًا، ولا يحـرِّف الكلم عن مواضعه، محب لوطنه، حريص على حفظ أمنه وأمانه واستقراره .

---

١) صحيح مسلم ، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاة ، بَابُ اسْتِحْبَابِ الذِّكْرِ بَعْدَ الصَّلَاةِ وَبَيَانِ صِفَتِهِ، حديث رقم: ٥٩١.

٢) مسند أحمد ، ١٥/ ١٠٦، حديث رقم : ٩١٩٨، المعجم الأوسط للطبراني ، ٦/ ٥٨ ، حديث رقـم : ٥٧٨٧.

٣) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَابُ الإِيمَانِ ، بَاب: مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، حديث رقم: ١٣ ، واللفظ له، وصحيح مسلم ، كِتَابُ الْإِيمَان ، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مِنْ خِصَالِ الْإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ، حديث رقم: ٧١.

٤) سنن النسائي، كِتَابُ الْإِيمَانِ وَشَرَائِعِهِ ، صِفَةُ الْمُؤْمِنِ ، حديث رقم: ٤٩٩٥، مسند أحمد ، ١١/ ٦٥٨، حديث رقم: ٧٠٨٦.

كما أن المؤمِنَ سِلمٌ سلامٌ مع البيئة التي يعيش فيها، يعي أن الحفاظ على البيئة مسئولية دينية وإنسانية ووطنية، وأن كل ما هو نافع لحياة العباد ومصالح البلاد فهو من صميم مقاصد الأديان ، وكل ما هو ضار لحياة العباد ومصالح البلاد ففعله مفسدة ، ودرؤه مصلحة واجبة بل محتَّمة.

وقد أرشدنا نبيُّنا الكريم (صلى الله عليه وسلم) إلى أهمية السلام مع البيئة، حيث بيَّن أن إماطة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الإيمان ، فقال (صلى الله عليه وسلم): "الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ – شُعْبَةً ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ"[1]، كما حذَّر نبينا (صلى الله عليه وسلم) من تلويث البيئة بصفة عامة والماء بصفة خاصة ، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): "اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ، قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ الله؟ ، قَالَ: "الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ فِي ظِلِّهِمْ"[2]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "اتَّقوا الملاعنَ الثَّلاثَ: البَرازَ في المواردِ، وقارعةِ الطَّريقِ، والظِّلِّ"[3]، وذلك حتى لا يكون الماء الملوَّثُ مصدرَ أذى، ونقل للأمراض المُهلِكة.

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

١) متفق عليه: صحيح البخاري ، كِتَابُ الإِيمَانِ ، بَابُ أُمُورِ الإِيمَانِ، حديث رقم: ٩ ، وصحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَان ، بَابُ شُعَبِ الْإِيمَانِ ، حديث رقم: ٥٨، واللفظ له.

٢) صحيح مسلم ، كِتَاب الطَّهَارَةِ ، بَابُ النَّهْيِ عَنِ التَّخلِّي فِي الطُّرُقِ، وَالظِّلَالِ، حديث رقم: ٢٦٩.

٣) سنن أبي داود، كِتَاب الطَّهَارَةِ ، بَابُ الْمَوَاضِعِ الَّتِي نَهَى النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَنِ الْبَوْلِ فِيهَا، حديث رقم: ٢٦.

لا شك أن مفهوم السلام يمتد ليشمل الكون كله ، فالمسلم لا يؤذي حيوانًا، ولا يحرق نباتًا ، ولا يتلف شجرًا ولا ثمرًا ، إنما هو بنَّاء معطاء ، يحب الخير لا الشر ، والبناء لا الهدم ، والتعمير لا التخريب ، وقد كان نبينا (صلى الله عليه وسلم) يؤصِّل لهذا السلام الكوني ، فهو بحق رحمة للعالمين ، حيث يقول تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]، مما يقتضي أن نحمل الخير للإنسانية جمعاء ، ونعمل جميعًا على الحفاظ على البيئة والسلام الكوني بما يرفع الأذى عن الجميع ، مدركين أن التجاوز في حق البيئة تجاوز ممتد الأثر لا يقف عند حدود مرتكبيه أو دولهم أو إقليمهم ، إنما يتجاوزهم إلى نطاق أوسع ربما يؤثر في الكرة الأرضية كلها وعلى البشرية جمعاء ، مؤكدين أن الحفاظ على البيئة مطلب شرعي ووطني وإنساني.

فما أجمل أن يعيش الإنسان في سلام مع نفسه ، وسلام مع أسرته ، وسلام مع عائلته ، وسلام مع جيرانه ، وسلام مع زملائه ، وسلام مع أصدقائه ، وسلام مع المجتمع ، وسلام مع بيئته ، وسلام مع الكون كله .

* * *

---

١) الأنبياء: ١٠٧.

شهادة الزمان والمكان والجوارح على الخلق

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1] ، وأَشهدُ أن لَّا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، وبعد :

فإن يوم القيامة هو يوم الحق ، يقضي الله سبحانه فيه بين خلقه بالحق ، ويقيم الشهود ليشهدوا عليهم بالحق ، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾[3]، ويقول تعالى: ﴿وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[4].

فالزمان يشهد على الخلق يوم القيامة باغتنامه في وجوه الخير وإعمار الأرض ، أو تضييعه في الإفساد في الأرض ؛ والمتأمل في القرآن الكريم يجد أن الحق سبحانه أشار إلى شهادة الأيام على العباد يوم القيامة ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى في معرِض القسَم: ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾[5]، ويقول نبينا (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):

---

١) النور: ٢٤.

٢) النبأ: ٣٩.

٣) غافر: ٥١.

٤) الزمر: ٦٩.

٥) البروج: ٣.

"اليَوْمُ المَوْعُودُ يَوْمُ القِيَامَةِ ، وَاليَوْمُ المَشْهُودُ يَوْمُ عَرَفَةَ ، وَالشَّاهِدُ يَوْمُ الجُمُعَةِ"(١)، ويقول الحسن البصري: ما من يوم ينشق فجره إلا ويقول: يا ابن آدم ، أنا يوم جديد ، وعلى عملك شهيد ، فاغتنمني ؛ فإني لا أعود إلى قيام الساعة(٢).

فالأيام والأعمار شاهدة على أعمال الخلق يوم القيامة ، وهم مسئولون عنها بين يدي الله (عزَّ وجلَّ)، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ"(٣).

وكما يشهد الزمان على الخلق يشهد المكان عليهم ، وقد أخبرنا القرآن الكريم أن الأرض ستحدِّث يوم القيامة بما كان فوق ظهرها من عمَلٍ ، حيث يقول الحق سبحانه : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾(٤)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا أَنْ تَقُولَ: عَمِلَ

---

١) سنن الترمذي ،أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ ، بَاب وَمِنْ سُورَةِ الْبُرُوجِ ، حديث رقم:٣٣٣٩.

٢) في حلية الأولياء بسنده عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ (رضي الله عنه)، عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : "لَيْسَ مِنْ يَوْمٍ يَأْتِي عَلَى ابْنِ آدَمَ إِلَّا يُنَادَى فِيهِ ، يَا ابْنَ آدَمَ أَنَا خَلْقٌ جَدِيدٌ ، وَأَنَا فِيمَا تَعْمَلُ عَلَيْكَ غَدًا شَهِيدٌ ، فَاعْمَلْ فِيَّ خَيْرًا أَشْهَدْ لَكَ بِهِ غَدًا ، فَإِنِّي لَوْ قَدْ مَضَيْتُ لَمْ تَرَنِي أَبَدًا ، قَالَ : وَيَقُولُ اللَّيْلُ مِثْلَ ذَلِكَ"، قال أبو نعيم: غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ تَفَرَّدَ بِهِ عَنْهُ زَيْدٌ وَلَا أَعْلَمُهُ رُوِيَ مَرْفُوعًا عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ.(حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ، ٢/ ٣٠٣).

٣) سنن الترمذي ، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ ، بَابٌ فِي الْقِيَامَةِ ، حديث رقم: ٢٤١٧.

٤) الزلزلة: ١ – ٥.

كَذَا وَكَذَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا"[١]، وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله (رضي الله عنهما) قَالَ : "خَلَتِ الْبِقَاعُ حَوْلَ الْمَسْجِدِ ، فَأَرَادَ بَنُو سَلِمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا إِلَى قُرْبِ الْمَسْجِدِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ، قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ الله ، قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ ، فَقَالَ : يَا بَنِي سَلِمَةَ دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ"[٢]، فالآثار إلى أماكن العبادات والنفع العام تُكتَب ، والأرض تشهد لمن مشى عليها إلى خير ينفع النفس والمجتمع، كما تشهد بالشر لمن سعى إليه وسلك سُبلَه، ومصداق ذلك قول الحق سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[٣].

ويقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾[٤]: لَمْ تَكُنْ لَهُمْ أَعْمَالٌ صالِحَةٌ تَصْعَدُ فِي أَبْوَابِ السَّمَاءِ ، فَتَبْكِي على فَقْدِهِمْ ، ولا لَهُمْ فِي الأَرْضِ بِقَاعٌ عَبَدُوا اللهَ فِيهَا فَقَدَتْهُمْ[٥]؛ وهذا يدل على أن المسلم إذا مات تبكيه من الأرض محل عباداته وطاعاته ، ويبكيه أهل الأرض ممن كان يحسن إليهم ويشملهم بأخلاقه وإحسانه ، وتبكيه السماء التي كان يصعد إليها عملُه

---

١) سنن الترمذي، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي العَرْضِ، حديث رقم: ٢٤٢٩.

٢) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد، حديث رقم: ٦٦٥.

٣) يس: ١٢.

٤) الدخان: ٢٩.

٥) تفسير ابن كثير، ٧/ ٢٣٣، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.

الصالح، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) في شأن الأذان: "لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جِنٌّ ، وَلَا إِنْسٌ ، وَلَا شَيْءٌ ، إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[1]، ويقول (صلى الله عليه وسلم) في شأن الحجر الأسود : "لَيَأْتِيَنَّ هَذَا الْحَجَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ ، يَشْهَدُ عَلَى مَنْ يَسْتَلِمُهُ بِحَقٍّ"[2].

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا شك أن الجوارح تشهد على الخلق يوم القيامة بما استعملوها في وجوه الخيرات ، أو سُبل المنكرات ، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[3] ويقول سبحانه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾[4]، وعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) أن نبينا (صلى الله عليه وسلم) ضحك يومًا حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، ثُمَّ قَالَ: تَدْرُونَ مما أَضْحَكُ؟ قالوا : الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : "مِنْ مُجَادَلَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَقُولُ يَا رَبِّ: أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى ، فَيَقُولُ : لَا أُجِيزُ عَلَيَّ شَاهِدًا إِلا مِنْ نَفْسِي، فَيُقَالُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ، وَبِالْكِرَامِ عَلَيْكَ شَهِيدًا ، فَيُخْتَمُ عَلَى فِيـهِ ، وَيُقَالُ لأَرْكَانِهِ : انْطِقِي ، فَتَنْطِقُ بِعَمَلِهِ ، ثُمَّ يُخَلَّى

---

١) صحيح البخاري ، كِتَابُ الأَذَانِ ، بَابُ رَفْعِ الصَّوْتِ بِالنِّدَاءِ ، حديث رقم: ٦٠٩.

٢) سنن ابن ماجه ، كِتَابُ الْمَنَاسِكِ ، بَابُ اسْتِلَامِ الْحَجَرِ ، حديث رقم: ٢٩٤٤.

٣) فصلت: ٢٠.

٤) يس : ٦٥.

بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلامِ ، فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا ، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ"[1].

ولا شك أن من فضل الله (عزَّ وجلَّ) على عباده الصالحين أن يُشهد لهم جوارحهم بما فعلت من الأعمال الصالحة النافعة للبلاد والعباد ، فما أجمل أن تكون شهادة الزمان والمكان والجوارح على الإنسان يوم القيامة شهادات تقدير لأعماله الصالحة النافعة له ولوطنه ولمجتمعه ، فيكون من أهل السعادة الذين يقال لهم: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ﴾[2].

*　　*　　*

1) صحيح مسلم ، كتاب الزهد ، باب منه ، حديث رقم: ٢٩٦٩.

2) الزخرف: ٧٠.

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[1]، وأَشهدُ أن لَّا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فإن الشريعة الإسلامية الغراء حافلة بالدعوة إلى الأخلاق الفاضلة، والقيم النبيلة، ومنها خلق (الأمانة)، فقد أمر الحق سبحانه به عباده المتقين، ووصف به أهل الفلاح من المؤمنين، حيث يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾[3]، كما يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانَةٍ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ، وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ"[4].

وللأمانة صور متعددة، ومعانٍ عظيمة، مناطها جميعًا شعور المرء بمسئوليته في كلِّ أمرٍ يُوكل إليه، فهي تشمل الأمانة في الأموال، كما تشمل أمانة الكلمة، وأمانة الأسرار، وأمانة النصيحة، وأمانة البيع والشراء، وأمانة العمل والصنعة، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾[5]،

١) النساء: ٥٨.

٢) النساء: ٥٨.

٣) المؤمنون: ٨.

٤) مسند أحمد،١١/ ٢٣٣، حديث رقم: ٦٦٥٢.

٥) الأحزاب: ٧٠.

ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ الله مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ الله لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ الله عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ"[1]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الْحَدِيثِ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ"[2]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ"[3]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ"[4].

ومن أهم صور الأمانة أمانة الدعوة إلى الله ، وهي من أخصّ صفات الأنبياء والمرسلين، فقد أخبر الحق سبحانه عن نوح وهود وصالح ولوط وشعيب (عليهم السلام) أنّ كلّ واحدٍ منهم قال لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[5]، ونحن نشهد أن أنبياء الله (عليهم السلام) أدوا الأمانة، وأن نبينا (صلى الله عليه وسلم) بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة، وكشف الله به الغمة، وأمانة الدعوة تقتضي الصدق مع الله ، بعيدًا عن البحث عن الغريب والشاذ من القول لفتًا

---

١) سنن الترمذي، أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، بَاب فِي قِلَّةِ الكَلَامِ، حديث رقم: ٢٣١٩.

٢) سنن الترمذي، أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ المَجَالِسَ أَمَانَةٌ، حديث رقم: ١٩٥٩.

٣) سنن أبي داود، كِتَاب الْأَدَبِ، أَبْوَابُ النَّوْمِ، بَاب فِي الْمَشُورَةِ، حديث رقم: ٥١٢٨.

٤) سنن الترمذي، أَبْوَابُ الْبُيُوعِ عَنْ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، بَابُ مَا جَاءَ فِي التُّجَّارِ وَتَسْمِيَةِ النَّبِيِّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِيَّاهُمْ ، حديث رقم: ١٢٠٩.

٥) الشعراء: ١٠٧.

للأنظار ، أو جذبًا للمتابعة على مواقع التواصل.

وقد كان نبينا (صلى الله عليه وسلم) يُلَقَّبُ بين قومه منذ صغره وقبل بعثته بالصادق الأمين ، وضرب لنا (صلى الله عليه وسلم) أروع المثل في أداء الأمانة عند الهجرة ، حينما ترك سيدنا عليًّا (رضي الله عنه) ليرد أمانات الكفار والمشركين الذين كانوا يتتبعونه (صلى الله عليه وسلم) محاولين قتله ، ولم يستحل أي شيء منها، لا لنفسه (صلى الله عليه وسلم)، ولا لأصحابه (رضي الله عنهم).

وكما أمر ديننا الحنيف بالأمانة فقد حذر أشد التحذير من الخيانة ، وبيَّن أنها من صفات المنافقين ، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[1]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وإذا اؤْتُمِنَ خَانَ"[2]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "لا إِيمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلا دِينَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ"[3]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الخِيَانَةِ؛ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ البِطَانَةُ"[4].

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

١) الأنفال: ٢٧.

٢) متفق عليه: صحيح البخاري ، كِتَابُ الإِيمَانِ ، بَابُ عَلاَمَةِ المُنَافِقِ، حديث رقم: ٣٣، وصحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَان ، بَابُ بَيَانِ خِصَالِ الْمُنَافِقِ، حديث رقم: ١٠٧.

٣) مسند أحمد ،١٩/ ٣٧٦، حديث رقم:١٢٣٨٣.

٤) سنن أبي داود ، أبواب فضائل القرآن، بَاب فِي الاستعاذة ، حديث رقم: ١٥٤٧.

لا شك أن الإيمان والأمن والأمانة من أصل واحد وهو الأمن، فلا أمن بلا إيمان، ولا إيمان بلا أمانة، وأنه إذا ذهبت الأمانة حدث اضطراب مجتمعي كبير، ووقعت القلاقل والخصومات والفتن في المجتمع، وشك الناس بعضهم في بعض، فلم يأمَنْ صَدِيقٌ صديقَه، ولا زوجٌ زوجَه، ولا جارٌ جارَه، أما الأمانة فتحقق للناس الطمأنينة والسكينة والأمن المجتمعي.

على أننا نؤكد أن الأمانة جزء من إيماننا، ومن عقيدتنا، نؤديها للصديق، وللصاحب، وللعدو، وأننا لا نقابل خيانة خائن بخيانة، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾[1]، أي: أعلمهم بحل العهد الذي بينك وبينهم، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ"[2]، فلا يجوز للإنسان أن يخون الأمانة تحت أي شكل من الأشكال، أو ظرف من الظروف، أو موقف من المواقف، يقول ميمون بن مهران (رحمه الله): "ثلاثة يؤدَّين إلى البر والفاجر: الأمانة، والعهد، وصلة الرحم"[3]، وختامًا نؤكد أن أشد أنواع الخيانة هي خيانة الإنسان لوطنه، أو تآمره عليه، أو تحالفه مع أعدائه، أو عمالته لهم.

* * *

---

١) الأنفال: ٥٨.

٢) سنن أبي داود، كِتَاب الْبُيُوعِ ، أَبْوَابُ الْإِجَارَةِ، بَابٌ فِي الرَّجُلِ يَأْخُذُ حَقَّهُ مَنْ تَحْتَ يَدِهِ، حديث رقم: ٣٥٣٤.

٣) شعب الإيمان للبيهقي، الشعبة الخامسة والثلاثون (الأمانات)، حديث رقم: ٤٨٩٩ .

طلاقة القدرة الإلهية في العطاء والمنع

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾[1]، وأَشهدُ أن لَّا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أَنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فإن الله (جل جلاله) هو القادر المقتدر ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[2]، وقدرته سبحانه مطلقة لا يُعجِزُها شيء، ولا يحدُّها حد، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[3]، ويقول سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾[4]، ويقول تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[5]، ويقول (جل وعلا): ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[6].

ومن لطف الله (عزَّ وجلَّ) بعباده وعظيم رحمته بهم أنه يفرِّج بقدرته همومَ عبادِه، ويزيل كروبهم ، ويأتي سبحانه بالفرج بعد الشدة ، وباليسر بعد العسر،

---

١) الطلاق: ١.

٢) الأنعام: ١٨.

٣) البقرة : ٢٠.

٤) الكهف : ٤٥.

٥) الزمر: ٦٧.

٦) فصلت: ٣٩.

حيث يقول الحق سبحانه: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[1]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا" [2]، ولن يغلب عُسْرٌ – أبدًا – يُسْرَيْنِ.

وإذا قدَّر الله (جل وعلا) فتحًا لعباده وخيرًا لهم فلا مُغلِق لما فتح، ولا مُضَيِّق لما وسَّع، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[3]، ويقول سبحانه: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[4].

فإذا أُغلقت على الإنسان الأبواب، وضاقت به السبل، وبلغت به الشدّة منتهاها، فليلجأ إلى ربِّه ومولاه؛ ليفتح له أبواب رحمته، ويرزقه بقدرته المطلقة من حيث لا يحتسب، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ﴾[5]، ويقول سبحانه: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ * وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ﴾[6]، ويقول سيدنا عبد الله بن مسعود

---

١) الشرح: ٥، ٦ .

٢) مسند أحمد : ٥/ ١٨، حديث رقم: ٢٨٠٣ .

٣) فاطر:٢.

٤) هود : ٥٦.

٥) الطلاق: ٢، ٣.

٦) الزمر: ٣٦، ٣٧.

(رضي الله عنه): "لو كان العُسرُ في جُحرٍ لدخل عليه اليُسرُ حتى يُخرجَه"[1].

والمتأمل في القرآن الكريم يجد قوله سبحانه: ﴿ لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرًا ﴾[2]، وهي آية تفتح كل أبواب الفرج، فمهما كانت هموم الإنسان ومشاكله وأحزانه وأمراضه، مهما كانت العقبات التي تقف في طريقه، مهما كانت التحديات التي تواجهه؛ فلا بد أن يتذكر ﴿ لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرًا ﴾، وليتذكر أن أمره سبحانه إذا أراد شيئًا أن يقول له: كن فيكون؛ فيلجأ إلى ربه ويلزم بابه.

والثِّقة في طلاقة قدرة الحق (جل وعلا) سُنة الأنبياء والمرسلين، وإجابته سبحانه دعاء الداعين وتفريجه بقدرته هموم المهمومين سنةُ الكريم (جل وعلا) في خلقه، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ * أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ * أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ * أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[3]، فهذا سيدنا

---

1) المعجم الكبير للطبراني، ١٠/ ٧٠، حديث رقم: ٩٩٧٧ .

2) الطلاق: ١ .

3) النمل : ٦٠ – ٦٣ .

نوح (عليه السلام) حين دعا ربه ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ﴾[1] تجلت طلاقة قدرته سبحانه في الفرَج واليُسر ﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ * وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ * وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ * تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ * وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾[2]، ثم تجلت طلاقة قدرته سبحانه في إعادة حالة السكون والاستقرار ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3]، وهذا سيدنا يونس (عليه السلام) يدعو ربه في شدته وهو في بطن الحوت، فتتجلى قدرته سبحانه في إزالة الهم والغم: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[4].

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن ما عند الله (عزَّ وجلَّ) لا ينال بمعصيته، إنما ينال بطاعته وحسن التوكل عليه مع الأخذ بالأسباب، حيث يقول سبحانه: ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ

---

١) القمر: ١٠.

٢) القمر: ١١ :١٥.

٣) هود: ٤٤.

٤) الأنبياء : ٨٧ ، ٨٨.

رَبِّهِۦ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[2]، فمفاتيح الأمور كلها بيده ، حيث يقول سبحانه : ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ﴾[3].

فعلينا أن نسعى ولا نيأس ، كما أن علينا أن نتراحم فلا نغش ، ولا نخدع ، ولا ندلس ، ولا نحتكر ، ولا نستغل ، فمن لا يَرحم لا يُرحم ، والراحمون هم من يرحمهم الله ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[4].

* * *

---

١) الأعراف:٥٨.

٢) الأعراف: ٩٦.

٣) النمل: ٢٥.

٤) القصص: ٨٣.

محاسبة النفس
ماذا قدمت لدينها ودنياها ووطنها ؟

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾[1]، وأَشهدُ أن لَّا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أَنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، وبعد:

فإن محاسبة النفس زاد المتقين، وسبيل النَّجاة يوم الدين ، وقد أقسم الحق سبحانه بالنفس الكريمة التي تُكثِر لَوْمَ صاحبِها ومحاسبتَه ، يقول سبحانه: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾[2]، ودعانا نبيُّنا (صلى الله عليه وسلم) إلى محاسبة النفس، وأخبرنا أن أذكى المؤمنين هو الذي يضع الموت في حسبانه ويعمل لآخرته ، فحينما سئل نبينا (صلى الله عليه وسلم) أي المؤمنين أكيس؟ قال (صلى الله عليه وسلم): "أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا"[3]، ويقول سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): "حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا ، فَإِنَّهُ أَهْوَنُ - أَوْ قَالَ: أَيْسَرُ- لِحِسَابِكُمْ ، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا ، وَتَجَهَّزُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾"[4].

---

١) القيامة: ١٤.

٢) القيامة: ٢.

٣) سنن ابن ماجه ، كتاب الزهد ، بَابُ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَالِاسْتِعْدَادِ لَهُ ، حديث رقم: ٤٢٥٩.

٤) الزهد والرقائق لابن المبارك ، ١/ ١٠٣، والآية في سورة الحاقة: ١٨.

وإذا كان الإنسان سيلقى ربه سبحانه ، ويحاسبه ويسأله عن كل شيء؛ فحُقَّ له أن يحاسِب نفسه قبل أن يُحاسَب ، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[3]، ويقول المصطفى (صلى الله عليه وسلم):"مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ الله لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ"[4].

والعاقل هو الذي لا يغفل عن دوام محاسبة نفسه ، ويتزوَّد بالتقوى ليوم القيامة ، حيث يقول الحق (سبحانه): ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[5]، ويقول سبحانه: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[6]، ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

١) الصافات: ٢٤.

٢) الكهف: ٤٩.

٣) الإسراء: ٣٦.

٤) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ كَلاَمِ الرَّبِّ (عَزَّ وَجَلَّ) يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ الأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ، حديث رقم: ٧٥١٢، وصحيح مسلم، كِتَاب الزَّكَاةِ ، بَابُ الْحَثِّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، أَوْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ وَأَنَّهَا حِجَابٌ مِنَ النَّارِ، حديث رقم: ١٠١٦، واللفظ له.

٥) البقرة: ١٩٧.

٦) البقرة: ٢٨١.

ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ * وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾[1]، يقول ابن كثير (رحمه الله): أي: حاسِبوا أنفسَكم قبل أن تُحاسَبُوا ، وانظروا ماذا ادَّخرتُم لأنفسِكم من الأعمالِ الصالحةِ ليومِ معادِكم وعرضِكم على ربِّكم ، واعلموا أنه عالمٌ بجميع أعمالكم وأحوالكم ، لا تخفى عليهِ منكم خافية[2].

وبالمحاسبة تُزَكَّى النفس وتُرَقَّى إلى معالي الأمور وصالح الأخلاق، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[3]، ويقول الحسن البصري (رحمه الله): "إنَّ العبدَ لا يزالُ بخيرٍ ما كان له واعظٌ مِن نفسه، وكانت المحاسبةُ مِن هِمَّتِه"[4].

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا شك أن محاسبة النفس لا تقف عند حد النظر فيما قدمت لآجلتها ، ومحاسبتها على أداء الشعائر من صلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ وحجٍّ ونحو ذلك ، بل يمتد مفهومها ليشمل محاسبة النفس على ما قدمت لعمارة الكون ، وماذا قدم الإنسان لأهله ووطنه والإنسانية من علم نافع وعمل جاد، فالعاقل هو من يعمِّر الدنيا

---

١) الحشر: ١٨، ١٩.

٢) تفسير ابن كثير، ٨/ ١٠٦.

٣) الشمس: ٩، ١٠.

٤) محاسبة النفس لابن أبي الدنيا ، ص: ٢٥.

بالدين ، ويلبي نداء وطنه متى دعاه الوطن أو احتاج إليه.

وإذا كان نبينا (صلى الله عليه وسلم) قد عدد أركان الإسلام في قوله : " بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ ، شَهَادَةِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ "[١]، فإن مفهوم العبادات أوسع من ذلك بكثير، فالإحسان إلى الأهل والنفقة عليهم من كسبٍ حلالٍ عبادة، والصدق عبادة، والأمانة عبادة، وإتقان العمل عبادة، وعمارة الكون عبادة، وما أجمل العيش في سبيل الله بأن يسخر الإنسان حياته لمرضاة الله سبحانه بخدمة خلقه وقضاء حوائجهم وكف الأذى عنهم، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[٢]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَلَسْتَ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا ، حَتَّى اللُّقْمَةُ تَجْعَلُهَا فِي فِيِّ امْرَأَتِكَ"[٣]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا ، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا ، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ "[٤].

---

١) متفق عليه: صحيح البخاري ، كِتَابُ الإِيمَانِ ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : "بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ"، حديث رقم: ٨، وصحيح مسلم ، كِتَابُ الْإِيمَانِ ، بَابُ قول النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : " بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ"، حديث رقم : ٢١، واللفظ له .

٢) هود : ٦١.

٣) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كِتَابُ المَغَازِي ، بَابُ حَجَّةِ الوَدَاعِ ، حديث رقم: ٤٤٠٩ ، وصحيح مسلم ، كِتَابُ الْوَصِيَّةِ ، بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالثُّلُثِ ، حديث رقم: ١٦٢٨ .

٤) متفق عليه : صحيح البخاري ، كِتَاب المُزَارَعَةِ ، بَابُ فَضْلِ الزَّرْعِ وَالغَرْسِ إِذَا أُكِلَ مِنْهُ ، حديث رقم: ٢٣٢٠ ، وصحيح مسلم ، كِتَابُ الْمُسَاقَاةِ ، بَابُ فَضْلِ الْغَرْسِ وَالزَّرْعِ ، حديث رقم: ١٥٥٣.

فما أحوجنا إلى دوام محاسبة النفس ، والمبادرة بتعجيل التوبة الصادقة ؛ والعزم الصادق على الإصلاح ، حيث يقول نبينا (عليه الصلاة والسلام): "إِنَّ اللهَ (عزَّ وجلَّ) يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا"[1].

* * *

---

١) صحيح مسلم ، كتاب التَّوْبَةِ ، بَابُ قَبُولِ التَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ وَإِنْ تَكَرَّرَتِ الذُّنُوبُ وَالتَّوْبَةُ، حديث رقم: ٢٧٥٩.

اغتنام عهد الشباب في بناء الذات

"إتقان العبادة وإتقان العمل"

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1]، وأَشهدُ أن لَّا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أَنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، وبعد:

فقد خص دينُنا الحنيفُ عهدَ الشباب بمزيد من العناية والاهتمام ، ونبَّه على دوره في بناء الذات وتكوينها ، فالشباب ربيع الحياة والعمر ، وعهد اكتمال البناء الجسدي والنضج العقلي ، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾[2]، كما أرشدنا الشرع الحنيف إلى ضرورة اغتنام عهد الشباب بما ينفع النفس والدين والوطن عبادةً وعملًا ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم):" اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ : شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ"[3]، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):"لا تَزُولُ قَدمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ

---

١) التوبة: ١٠٥.

٢) الروم: ٥٤.

٣) السنن الكبرى للنسائي ، كِتَابُ الْمَوَاعِظِ ، حديث رقم: ١١٨٣٢ .

أَرْبَعِ خِصَالٍ: عَنْ عُمُرُهِ فِيمَا أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلاهُ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ"[1].

ولم يأمرنا الشرع الشريف بمجرد اغتنام عهد الشباب بالعبادة والعمل، إنما أمرنا كذلك بالإتقان والإحسان والتميز فيهما، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾[3]، ويقول (عزَّ وجلَّ): ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ﴾[4]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾[5]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم):"إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلا أَنْ يُتْقِنَه"[6].

والإتقان في العبادة يكون بأدائها أداءً صحيحًا ، وإتمام شروطها وأركانها، واستيفاء سننها وآدابها ، حيث يقول الحق سبحانه في شأن الصلاة : ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[7]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلى مَا يمْحُو الله بِهِ الخَطَايَا ، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلى يَا رسولَ الله، قَالَ: إِسْباغُ الْوُضُوءِ عَلى المَكَارِهِ ، وَكَثْرَةُ الخطى إِلى المَسَاجِدِ،

---

١) المعجم الكبير للطبراني، ٢٠/ ٦٠، حديث رقم: ١١١.

٢) البقرة: ١٩٥.

٣) النحل: ٩٠.

٤) القصص: ٧٧.

٥) الكهف: ٣٠.

٦) مسند أبي يعلى الموصلي، ٧/ ٣٤٩، حديث رقم: ٤٣٨٦.

٧) المؤمنون: ١، ٢.

وَانْتِظَارُ الصَّلاةِ بعْد الصَّلاةِ، فَذلِكُمُ الرِّباطُ، فَذلكُمُ الرِّباط"[1]، ويقول سبحانه في شأن الزكاة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾[2].

وفي شأن الصيام يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم):"..وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِم"[3]، ويقول سيدنا جابر (رضي الله عنه): "إِذَا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمِعُكَ وَبَصَرُكَ وَلِسَانُكَ عَنِ الْكَذِبِ وَالْمَحَارِمِ، وَلْيَكُنْ عَلَيْكَ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ يَوْمَ صِيَامِكَ"[4]، ويقول سبحانه في شأن الحج: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ﴾[5]، ويقول سبحانه: ﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗا ﴾[6]، وقد شمل الأمر بالإتقان شأن تكفين الميت وتجهيزه ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم):"إِذَا كَفَّنَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُحسنْ كَفَنَهُ"[7].

---

١) صحيح مسلم، كِتَاب الطَّهَارَةِ، بَابُ فَضْلِ إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، حديث رقم: ٢٥١ .

٢) البقرة: ٢٦٧.

٣) متفق عليه: صحيح البخاري ، كِتَاب الصَّوْمِ ، بَاب: هَلْ يَقُولُ إِنِّي صَائِمٌ إِذَا شُتِمَ ، حديث رقم: ١٩٠٤، واللفظ له ، وصحيح مسلم ، كِتَاب الصِّيَامِ ، بَابُ فَضْلِ الصِّيَامِ ، حديث رقم:١١٥١ .

٤) شعب الإيمان للبيهقي ، الشعبة الثالثة والعشرون ، حديث رقم: ٣٣٧٤.

٥) البقرة: ١٩٦.

٦) البقرة: ٢٠٠.

٧) صحيح مسلم، كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، باب فِي تَحْسِينِ كَفَنِ الْمَيِّتِ، حديث رقم: ٩٤٣.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا شك أن إتقان العمل سبيل الأمم المتحضرة، ودأب الشعوب المتقدمة، التي يحملها حبها لأوطانها، ووعيها بدورها في رقيه وتقدمه على إحسان العمل وتجويده والتميز فيه، وهو خير سبيل لاغتنام قدرات الشباب وطاقاتهم فيما يخدم الدين والوطن، فكثير من مظاهر التقدم والتطور الذي يعيشه العالم في العصر الحديث في شتى المجالات قائم على أكتاف الشباب الذين أسهموا بجهدهم وإتقانهم في خدمة الإنسانية.

على أننا نؤكد أنه لن يحترم الناس ديننا ما لم نتفوق في أمور دنيانا، فإن تفوقنا في أمور دنيانا احترم الناس ديننا ودنيانا ، وأنه لن يكون ذلك التفوق إلا بأن نجعل من إتقان العمل ثقافة عامة في كل شيء؛ في العلم، والصناعة ، والثقافة ، والعمل الحرفي والمهني ، بل وفي جميع جوانب حياتنا، مدركين أن إتقان العمل واجب تحتمه تعاليمنا الشرعية وروحنا الوطنية ، وأن العمل يتحول إلى عبادة ما دام مقرونًا بشرف القصد وسمو الغاية ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) في رجلٍ تعجَّب أصحابُ النبيِّ (صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ) من جلَدِه ونشاطِه وإتقانه: "إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يُعِفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ"[١].

---

١) المعجم الكبير للطبراني، ١٩/ ١٢٩، حديث رقم: ٢٨٢.

فما أحوجنا إلى اغتنام عهد الشباب بالعبادة الصالحة والعمل النافع، وتحقيق الإتقان في ذلك، لنفوز برضا الله (عزَّ وجلَّ) في الدنيا والآخرة، ونحقق التقدم والرخاء لوطننا الحبيب.

❊ ❊ ❊

حـق الـرحـم

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[1]، وأَشهدُ أن لّا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إِلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فإن صلة الرحم من كمال الإيمان وحسن الإسلام، وهي متحققة بالتواصل والتزاور بين الأهل والأقارب، والصدقة على فقيرهم ، والتجاوز عن الجافي منهم؛ مما يسهم في تقوية أواصر العلاقات الاجتماعيّة بين المجتمع كله؛ لذلك جاءت الدعوة إلى التعرف على صلات الأقارب بين الناس، حتى يتيسر القيام بحقها، يقول سيدنا عمر بن الخطّاب (رضي الله عنه): " تَعَلَّمُوا أَنْسَابَكُمْ، ثُمَّ صِلُوا أَرْحَامَكُمْ .."[2].

وحق الرحم أصيل في ديننا الحنيف، ويكفي الرحمَ شرفًا أن الحق سبحانه شقَّ لها اسمًا مِن أسمائِهِ، ووعدَهَا بأن يصِلَ مَنْ وصلَهَا، ويقطَعَ من قطعها، يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "إِنَّ الله خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتْ الرَّحِمُ فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ مِنْ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى ، قَالَ: فَذَاكَ لَكِ"[3]، ويكفيها أهميةً أنها شاهدة

---

١) النساء: ١.

٢) الأدب المفرد ، بَابُ تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، حديث رقم: ٧٢.

٣) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب {وتُقَطِّعوا أَرحَامَكُم} [محمد: ٢٢]=

يوم القيامة للإنسان إن وصلها، وشاهدة عليه إن قطعها، يقول (صلى الله عليه وسلم): " وَكُلُّ رَحِمٍ آتِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَامَ صَاحِبِهَا، تَشْهَدُ لَهُ بِصِلَةٍ إِنْ كَانَ وَصَلَهَا، وَعَلَيْهِ بِقَطِيعَةٍ إِنْ كَانَ قَطَعَهَا"(1).

لذلك عُني القرآن الكريم بحق الرحم عناية بالغة، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾(2)، ويقول سبحانه: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾(3)، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾(4)، فالنفقة على المحتاج من ذوي الأرحام من أوجب الحقوق، وثوابها مضاعف، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ"(5)، ولما نزل قول الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾(6)، أراد سيدنا أبو طلحة (رضي الله عنه) أن يتصدق بأحب أمواله إليه وهو بستان بيرحاء، يرجو بِرّ تلك الصدقة وذُخرها عند الله تعالى، فقال (صلى الله عليه وسلم): "بَخٍ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعتُ ما قلتَ، وإني أرى

= حديث رقم: ٤٨٣٠ ، وصحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ صِلَةِ الرَّحِمِ وَتَحْرِيمِ قَطِيعَتِهَا، حديث رقم: ٢٥٥٤، واللفظ له.

1) الأدب المفرد للبخاري، بَاب تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، حديث رقم: ٧٣.

2) الإسراء: ٢٦.

3) النساء: ٣٦.

4) النحل: ٩٠.

5) سنن الترمذي، كتاب الزكاة ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الصَّدَقَةِ عَلَى ذِي القَرَابَةِ، حديث رقم: ٦٥٨.

6) آل عمران: ٩٢.

أن تجعلَها في الأقربين"، فقسمها أبو طلحة (رضي الله عنه) بين أقاربه وبني عمِّه[١].

ولصلة الرحمة فضائل عظيمة في الدنيا والآخرة، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم):"مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ ؛ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ"[٢]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "صلةُ الرحمِ ، وحسنُ الخلقِ، وحسنُ الجوارِ، يَعْمُرْنَ الدِّيارَ، ويَزِدْنَ في الأَعْمارِ"[٣]، ويقول (عليه الصلاة والسلام): "يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَفْشُوا السَّلَامَ ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ، تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِسَلَامٍ"[٤]، ويقول (صلى الله عليه وسلم) لرَجُل سأله عن عَمَلٍ يُدْخِلُه الجَنَّةَ: " تَعْبُدُ الله ولَا تُشْرِكُ به شيئًا ، وتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وتَصِلُ الرَّحِمَ"[٥]، وجاء رجل إلى سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، فقال: يا رسول الله ، إني أصبتُ ذنبًا عظيمًا ، فهل لي توبة؟ ، قال : "هَلْ

---

١) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب الزكاة على الأقارب ، حديث رقم: ١٤٦١، وصحيح مسلم، كِتَاب الزَّكَاةِ ، بَابُ فَضْلِ النَّفَقَةِ وَالصَّدَقَةِ عَلَى الْأَقْرَبِينَ وَالزَّوْجِ وَالْأَوْلَادِ، وَالْوَالِدَيْنِ وَلَوْ كَانُوا مُشْرِكِينَ ، حديث رقم: ٩٩٨ .

٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب البيوع ، باب من أحب البسط في الرزق ،حديث رقم: ٢٠٦٧، واللفظ له، وصحيح مسلم ، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ ، بَابُ صِلَةِ الرَّحِمِ وَتَحْرِيمِ قَطِيعَتِهَا، حديث رقم: ٢٥٥٧.

٣) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ، ص: ١٠٣، حديث رقم : ٣٢٩.

٤) سنن ابن ماجه ، أَبْوَابُ الْأَطْعِمَةِ ، بَابُ إِطْعَامِ الطَّعَامِ ، حديث رقم: ٣٢٥١ .

٥) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب فضل صلة الرحم ، حديث رقم : ٥٩٨٣ ، وصحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَان ، بَابُ بَيَانِ الْإِيمَانِ الَّذِي يُدْخَلُ بِهِ الْجَنَّةَ ، وَأَنَّ مَنْ تَمَسَّكَ بِمَا أُمِرَ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، حديث رقم: ١٣ .

لَكَ مِنْ أُمٍّ ؟" ، قـال : لا ، قـال : "هَـلْ لَكَ مِنْ خَالَـةٍ؟" قـال : نَعَمْ ، قَـالَ : "فَـبَرَّهَـــا"(١).

ولا تتم الصلة الحقيقية الكاملة حتى تشمل جميع الأقرباء وتَعُمَّ القاطع منهم، فالواصل الحقيقي ليس من يكافئ على الوصل فيصل من وصله فقط، بل الواصل الحقيقي هو من يصل من قطعه، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنَّ الوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا"(٢)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ الصَّدَقَةُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الكَاشِحِ [أي: المبغض]" (٣).

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا شك أن من قام بحق رحمه واستجاب لأمر الله ورسوله فاز في الدارين، وأن من قطع رحمه وأدبر خسر خسرانًا مبينًا ، حيث يقول سبحانه في كتابه الكريم : ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ * أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾(٤)، ويقول سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ

١) سنن الترمذي، أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، بَابُ مَا جَاءَ فِي بِرِّ الخَالَةِ، حديث رقم: ١٩٠٤.

٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب: ليس الواصل بالمكافئ، حديث رقم: ٥٩٩١.

٣) مسند أحمد، ٣٨/ ٥١١، حديث رقم: ٢٣٥٣٠.

٤) محمد: ٢٢، ٢٣.

ﭐللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾[1]، ويقول نبينا (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في بيان عقوبة قاطع الرحم: "مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ الله لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يدَّخرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ"[2].

وإذا كان ديننا الحنيف قد نهى المسلم عن أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاث، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ، فَيُعْرِضُ هَذَا، ويُعْرِضُ هَذَا، وخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ"[3] فإن هذا في حق الرحم أولى وآكد، والعاقل من يستجيب لقول نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم): "وخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ"، فيعفو عمن ظلمه ، ويصل من قطعه، ويحسن إلى من أساء إليه.

* * *

---

١) الرعد: ٢٥.

٢) سنن الترمذي ، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ، باب منه ، حديث رقم: ٢٥١١.

٣) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب الهجرة ، حديث رقم: ٦٠٧٧، وصحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ ، بَابُ تَحْرِيمِ الْهَجْرِ فَوْقَ ثَلَاثٍ بِلَا عُذْرٍ شَرْعِيٍّ ، حديث رقم: ٢٥٦٠، واللفظ له.

الجار مفهومه وحقوقه

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ﴾[1]، وأَشهدُ أن لَّا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فإن الإحسان إلى الجار قيمة نبيلة توثِّق أواصر المحبة والألفة، وتشيع روح التعاون والتكافل، وتنشر الاستقرار بين أفراد المجتمع؛ لذلك اهتمت الشريعة الإسلامية بالجار اهتمامًا عظيمًا، فأوصت بحقه، وعظَّمت حرمته إلى حدٍّ جعل نبيَّنا (صلى الله عليه وسلم) يقول: "مَا زَالَ جِبْرِيلُ يوصيني بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ"[2].

ولا شك أن مفهومَ الجوار يتَّسِعُ ليشمل الجار في المنزل ، والجار في العمل، والجار في السفر، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾[3].

---

1) النساء: ٣٦.

2) متفق عليه، صحيح البخاري، كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ الوَصَاةِ بِالْجَارِ ، حديث رقم: ٦١٠، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب الوصية بالجار والإحسان إليه ، حديث رقم: ٢٦٢٥.

3) النساء: ٣٦.

وحق الجار حق أصيل في الإسلام ، حيث يقـول نبيـنا (صلى الله عليه وسلم) في حق الجار وشأنه: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ"[١] ويقول (صلى الله عليه وسلم): "وَالله لاَ يُؤْمِنُ، وَالله لاَ يُؤْمِنُ، وَالله لاَ يُؤْمِنُ" قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: "الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ"[٢]، أي: شروره، ويقول (عليه الصلاة والسلام): "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا ، أَوْ لِيَسْكُتْ"[٣].

ومن حسن أدب الإسلام في التعامل مع الجار قول نبينا (صلى الله عليه وسلم): " مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ دُونَ جَارِهِ مَخَافَةً عَلَى أَهْلِهِ وَمَالِهِ فَلَيْسَ ذَلِكَ بِمُؤْمِنٍ، وَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ مَنْ لَمْ يَأْمَنْ جَارُهُ بَوَائِقَهُ، أَتَدْرُونَ مَا حَقُّ الْجَارِ؟ إِنِ اسْتَعَانَكَ أَعَنْتَهُ، وَإِنِ اسْتَقْرَضَكَ أَقْرَضْتَهُ، وَإِنِ افْتَقَرَ عُدْتَ عَلَيْهِ، وَإِنْ مَرِضَ عُدْتَهُ، وَإِنْ مَاتَ شَهِدْتَ جَنَازَتَهُ، وَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ هَنَّأْتَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ عَزَّيْتَهُ، وَلَا تَسْتَطِيلَ عَلَيْهِ بِالْبِنَاءِ، فَتَحْجُبَ عَنْهُ الرِّيحَ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، وَإِذَا شَرَيْتَ فَاكِهَةً فَاهْدِ لَهُ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَأَدْخِلْهَا سِرًّا، وَلَا يَخْرُجْ بِهَا وَلَدُكَ لِيَغِيظَ بِهَا وَلَدَهُ، وَلَا تُؤْذِهِ بِقِيثَارِ قِدْرِكَ إِلَّا أَنْ تَغْرِفَ لَهُ مِنْهَا» فَمَا زَالَ يُوصِيهِمْ بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "الْجِيرَانُ ثَلَاثَةٌ، فَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ ثَلَاثُ حُقُوقٍ، وَمِنْهُمْ

---

١) صحيح البخاري، كِتَابُ الأَدَبِ، بَاب مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، حديث رقم: ٦٠١٨.

٢) صحيح البخاري، كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ إِثْمِ مَنْ لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ، حديث رقم: ٦٠١٦.

٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان، حديث رقم: ٧٧.

مَنْ لَهُ حَقَّانِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ ، فَأَمَّا الَّذِي لَهُ ثَلَاثُ حُقُوقٍ فَالْجَارُ الْمُسْلِمُ الْقَرِيبُ، لَهُ حَقُّ الْإِسْلَامِ وَحَقُّ الْجِوَارِ وَحَقُّ الْقَرَابَةِ ، وَأَمَّا الَّذِي لَهُ حَقَّانِ فَالْجَارُ الْمُسْلِمُ ، لَهُ حَقُّ الْجِوَارِ وَحَقُّ الْإِسْلَامِ ، وَأَمَّا الَّذِي لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ فَالْجَارُ الْكَافِرُ لَهُ حَقُّ الْجِوَارِ"، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله أَنُعْطِيهِمْ مِنْ لُحُومِ النُّسُكِ؟ فَقَالَ: "لَا تُعْطِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ نُسُكِ الْمُسْلِمِينَ"[١] لا أن تتباهى بها أمامه ، أو أن تستعلي بقدراتك وإمكاناتك المادية عليه ، "وَلا يَخْرُجْ بِهَا وَلَدُكَ لِيَغِيظَ بِهَا وَلَدَهُ" فيتقطع قلبُ ولد الجار الفقير، وقلبُ الوالد مع ولده ، فتحدث الشحناء والبغضاء بين الجيران بسبب الغيرة والتحاسد ، "وَلا تُؤْذِهِ بِقُتَارِ قِدْرِكَ إِلا أَنْ تَغْرِفَ لَهُ مِنْهَا" أي: لا تؤذه برائحة الطبخ ، إلا إذا كنت عازمًا على أن تطعمه وأهلَه منها.

ومن حقوق الجار على جاره : زيارته إذا مرض ، وتهنئته في المناسبات ، وتعزيته في المصائب ، وإعانته في المهمات ، ومراعاة أعلى درجات المروءة معه، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ الله خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الجِيرَانِ عِنْدَ الله خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ"[٢].

وقد جعل سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) شهادة الجار لجاره أو عليه من أعلى درجات التزكية أو الجرح؛ لأن الإنسان وإن خدع بعض الناس بعض الوقت فإنه لا يمكن أن يخدع جيرانه كل الوقت ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُ بِهِ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ. قَالَ : "كُنَّ مُحْسِنًا"، قَالَ: كَيْفَ

---

١) مسند الشاميين للطبراني ، ٣/ ٣٣٩، حديث رقم: ٢٤٣٠.

٢) سنن الترمذي ، أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي حَقِّ الجِوَارِ ، حديث رقم: ١٩٤٤.

أَعْلَمُ أَنِّي مُحْسِنٌ؟ قَالَ: " سَلْ جِيرَانَكَ ، فَإِنْ قَالُوا: إِنَّكَ مُحْسِنٌ فَأَنْتَ مُحْسِنٌ، وَإِنَّ قَالُوا: إِنَّكَ مُسِيءٌ فَأَنْتَ مُسِيءٌ"[1].

وقد أوصانا الشرع الحنيف بحسن الجوار بإطلاق، ومعاملة جميع الجيران بما يستوجبه حق الجوار، وكان سيدنا عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) إذا ذبح شاةً يقول: أرسلوا لجارنا اليهودي منها، فعَنْ مُجَاهِدٍ، أَنَّ عَبْدَ الله بْنَ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) ذُبِحَتْ لَهُ شَاةٌ فِي أَهْلِهِ، فَلَمَّا جَاءَ قَالَ: أَهْدَيْتُمْ لِجَارِنَا اليَهُودِيِّ؟ أَهْدَيْتُمْ لِجَارِنَا اليَهُودِيِّ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: "مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ"[2].

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لقد حذر نبينا (صلى الله عليه وسلم) من إيذاء الجار أشد التحذير، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا، وَصِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا ، قَالَ: "هِيَ فِي النَّارِ" ، قَالَ: يَا رَسُولَ الله ، فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا ، وَصَدَقَتِهَا، وَصَلَاتِهَا ، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ ، وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا ، قَالَ: هِيَ فِي الجَنَّةِ"[3].

---

١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ، كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، حديث رقم: ١٣٩٩ .

٢) سنن الترمذي ، أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي حَقِّ الجِوَارِ ، حديث رقم : ١٩٤٣ .

٣) مسند أحمد،١٥/ ٤٢١، حديث رقم: ٩٦٧٥ .

على أننا نؤكد أن حقوق الجار لا تقتصر على ترك أذاه وكف الشر عنه بأي لون من ألوان الشر قولًا أو فعلًا، إنما تشمل تحمُّل الأذى منه، وعَنْ عَلِيٍّ (رضي الله عنه) قَالَ:" لَيْسَ حُسْنُ الْجِوَارِ كَفَّ الأَذَى وَلَكِنِ الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى"(١). فتَحَمُّلُ أذى الجار من شيم الكرام، وأجره عظيم عند رب العالمين، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾(٢)، ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾(٣).

ونؤكد أن حق الجوار ليس حقًّا للأفراد فحسب، إنما هو حق للدول أيضًا، فكما أن للجوار الفردي حقًّا فإن لجوار الدول حقوقًا، من أهمها: حفظ الحدود، وحفظ العهود والمواثيق والاتفاقيات، وألا يؤتى جارُك من قِبلك، وأن تغيثه إذا استغاث بك.

❊ ❊ ❊

---

١) جمع الجوامع المعروف بـالجامع الكبير، لجلال الدين السيوطي، ١٧/ ٧٤٤، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٢) الشورى: ٤٣.

٣) فصلت: ٣٤.

الصدق في الأقوال والأعمال

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ * لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[١]، وأَشهدُ أن لَّا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فإن الصدق قيمة إنسانية نبيلة، وخلق إسلامي أصيل، ينبئ عن طيب المعدِن، وكمال المروءة، يقول الفضيل بن عياض (رحمه الله): "لَمْ يَتَزَيَّنِ النَّاسُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنَ الصِّدْقِ، وَطَلَبِ الْحَلَالِ"[٢].

والمتأمل في كتاب الله (عزَّ وجلَّ) يدرك أن الله (تبارك وتعالى) وصف نفسه بالصدق؛ دلالة على شرفه وعلو قدره ، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾[٣]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾[٤]، ويقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾[٥]، كما يوقن أن الصدق والإيمان متلازمان، فالصدق دليل الإيمان وشاهده؛ لذلك أمر الله تعالى المؤمنين بالصدق، وبيَّن سبحانه أن المؤمنين حقًّا هم الصادقون، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

١) الزمر: ٣٣، ٣٤.

٢) شعب الإيمان، الشعبة الرابعة والثلاثون (حفظ اللسان)، حديث رقم: ٤٥٥٧.

٣) آل عمران: ٩٥.

٤) النساء: ١٢٢.

٥) النساء: ٨٧.

ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡ ﴾[2].

والصدق دأب الأنبياء والمرسلين، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴾[3]، ويقول سبحانه : ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾[4]، ويقول (جل وعلا) : ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا﴾[5]، ويقول تعالى في شأن خاتم الأنبياء والمرسلين (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ * إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾[6].

والمسلم الحق يدرك أن الكلمة أمانة ، فيتحرى الصدق في جميع أقواله ، سواء أكانت مسموعة ، أم مرئية ، أم مكتوبة ؛ يبتغي بذلك وجه الله ، وبركته في الدنيا، والجنة في الآخرة ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): " البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا ، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا ، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا"[7]، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلَا يَضُرُّكَ مَا

---

١) التوبة: ١١٩.

٢) الحديد: ١٩.

٣) مريم: ٤١.

٤) مريم: ٥٤.

٥) مريم: ٥٦.

٦) النجم: ٣، ٤.

٧) متفق عليه: صحيح البخاري ، كِتَابُ البُيُوعِ ، بَاب البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا ، حديث رقم: ٢١١٠، واللفظ له ، وصحيح مسلم، كِتَابُ الْبُيُوعِ ، بَابُ الصِّدْقِ فِي الْبَيْعِ وَالْبَيَانِ ، حديث رقم: ١٥٣٢.

فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا : صِدْقُ حَدِيثٍ ، وَحِفْظُ أَمَانَةٍ ، وَحسنُ خَلِيقَة ، وعِفَّةُ طُعْمَةٍ"[1]، وحينما أرادت السيدة خديجة (رضي الله عنها) أن تطمئن نبينا (صلى الله عليه وسلم) بعد نزول الوحي عليه كان من جملة ما وصفته به (الصدق)، حيث قالت: "وَالله، لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا ، وَالله إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتُكْسِبُ المَعْدُومَ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ"[2]، ويقول سبحانه: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[3]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله صِدِّيقًا ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّابًا" [4].

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

١) مكارم الأخلاق للخرائطي ، ص: ٣٣، حديث رقم: ٣١.

٢) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب {مَا وَدَّعَك رَبُّكَ ومَا قَلَى}[الضحى: ٣]، حديث رقم: ٤٩٥٣، وصحيح مسلم ، كِتَابُ الْإِيمَان ، بَابُ بَدْءِ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، حديث رقم: ٢٥٢ .

٣) المائدة: ١١٩.

٤) متفق عليه : صحيح البخاري ، كِتَابُ الأَدَبِ ، بَابُ قَوْلِ الله تَعَالَى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}[التوبة: ١١٩] وَمَا يُنْهَى عَنِ الكَذِبِ ، حديث رقم: ٦٠٩٤ ، وصحيح مسلم ، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ ، بَابُ قُبْحِ الْكَذِبِ وَحُسْنِ الصِّدْقِ وَفَضْلِهِ ، حديث رقم: ٢٦٠٧، واللفظ له .

لا شك أن نور الصدق إذا سطع في القلب صدق الإنسان في عمله كما صدق في قوله ، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا * يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[1]، والعمل الصادق هو الذي لا خداع فيه ، ولا غش ، ولا رياء ، ويكون ذلك بتحري الحلال ، والبعد عن الحرام ، والوفاء بالعهود ، وتأدية الأمانات ، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾[2]، ويقول (جل شأنه): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[3]، وقد عدَّ نبيُّنا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ضد ذلك من الصفات علامات على النفاق ، حيث يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ"[4].

على أننا نؤكد أن الإنسان الصادق قولًا وعملًا سليم النفس ، نقي الفطرة، قريب من الناس ، يألف ويؤلف ، لا يغش في تجارةٍ ، ولا يُخادع في معاملةٍ ، ولا يتاجر بالأزمات ، فيورثه الصدقُ الأمانَ النفسي ، والطمأنينةَ القلبيةَ ، والسعادةَ المجتمعية ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَة ، وَإِنَّ

---

١) الأحزاب: ٧٠، ٧١.

٢) المائدة: ١.

٣) النساء: ٥٨.

٤) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ عَلاَمَةِ المُنَافِقِ، حديث رقم: ٣٤، واللفظ له، وصحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ بَيَانِ خِصَالِ الْمُنَافِقِ، حديث رقم: ١٠٦.

الْكَذِبَ رِيبَةٌ"[١]، ويقول سيدنا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): " منْ كَانَتْ لَهُ عِنْدَ النَّاسِ ثَلَاثٌ وَجَبَتْ لَهُ عَلَيْهِمْ ثَلَاثٌ مَنْ إذَا حَدَّثَهُمْ صَدَقَهُمْ ، وَإِذَا ائْتَمَنُوهُ لَمْ يَخُنْهُمْ، وَإِذَا وَعَدَهُمْ وَفَّى لَهُمْ وَجَبَ لَهُ عَلَيْهِمْ أَنْ تُحِبَّهُ قُلُوبُهُمْ، وَتَنْطِقَ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ أَلْسِنَتُهُمْ، وَتَظْهَرَ لَهُ مَعُونَتُهُمْ "[٢].

❊ ❊ ❊

١) سنن الترمذي ، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ، باب منه ، حديث رقم: ٢٥١٨.

٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية ، ١/ ٣٩.

الاستجابة لله ولرسوله

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾[1]، والقائل (عزَّ وجلَّ) : ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾[2]، وأَشهدُ أن لَّا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إِلَى يومِ الدِّينِ ، وبعـــد:

فإن المتأمل في القرآن الكريم يجد دعوة صريحة للحياة السعيدة الطيبة ، والنجاة في الدنيا والآخرة ، بالاستجابة لله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وسلم)، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾[3]، ويقول سبحانه: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ﴾[4]، ويقول تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[5].

---

١) الشورى: ٤٧.

٢) الرعد: ١٨.

٣) الأنفال: ٢٤.

٤) الأنعام: ١٢٢.

٥) النحل: ٩٧.

ولا شك أن الاستجابة لله تعالى ولرسوله (صلى الله عليه وسلم) سبيل المؤمنين الصادقين، الموفَّقين لشكر نِعَم الله (عزَّ وجلَّ) باستعمال الجوارح التي وهبها الله إياهم في سماع الحق والاستجابة له ، حيث يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾[1].

كما أن الاستجابة شأن الأنبياء المصطفَيْن والملائكة المقربين، فعندما أمر الله (عزَّ وجلَّ) نبيه نوحًا (عليه السلام) بصنع السفينة في الصحراء حيث لا أنهار ولا بحار استجاب لأمر ربه سبحانه، حيث يقول تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ * وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾[2]، وعندما أمر الله نبيه إبراهيم (عليه السلام) أن يؤذن في الناس بالحج حيث يقول سبحانه : ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[3]، كانت استجابته (عليه السلام) حين قال لربه (جل وعلا) : رَبِّ وما يَبْلُغُ صَوْتِي؟ فقالَ سبحانه : "أَذِّنْ وعَلَيَّ البَلاغُ"[4]، وكذلك حين أمره ربُّه سبحانه بذبح ولده فكانت الاستجابة والتسليم منه ومن

---

١) الأنعام: ٣٦.

٢) هود: ٣٧، ٣٨.

٣) الحج: ٢٧.

٤) السنن الكبرى للبيهقي ، جُمَّاعُ أَبْوَابِ دُخُولِ مَكَّةَ ، بَابُ دُخُولِ مَكَّةَ بِغَيْرِ إِرَادَةِ حَجٍّ وَلَا عُمْرَةٍ ، حديث رقم : ٩٨٣٣ ، والمستدرك على الصحيحين للحاكم ، كِتَابُ التَّفْسِيرِ ، حديث رقم : ٣٤٦٤.

ولده إسماعيل (عليهما السلام)، حيث يقول سبحانه: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[1].

وقد ضرب صحابة نبينا (صلى الله عليه وسلم) أروع الأمثلة في الاستجابة لله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وسلم)، ففي يوم حمراء الأسد استجاب أصحاب نبينا (رضي الله عنهم) لأمر الله (عزَّ وجلَّ) ورسوله (صلى الله عليه وسلم) رغم ما أصابهم من جروح وآلام جراء ما حدث يوم أُحُد ؛ لذلك جاء مدحهم في القرآن الكريم ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[2]، وفي حادثة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة كانت الاستجابة الفورية منهم (رضي الله عنهم)، حيث استداروا في الصلاةِ - وكانوا يصلون جهة بيت المقدس- عندما جاءهم من يخبرهم أنَّ رسولَ الله (صلَّى اللهُ عليه وسلَّم) قد أُنزِل عليه الأمر باستقبال الكعبة في الصلاة، وكذلك كانت استجابتهم (رضي الله عنهم) حينما تغير وجه نبينا (صلى الله عليه وسلم) وبدا عليه الحزن من رؤيته قومًا فقراء حفاة عراة ، ودعا أصحابه (رضي الله عنهم) إلى الصدقة قائلًا : "تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِن دِينَارِهِ ، مِن دِرْهَمِهِ ، مِن ثَوْبِهِ ،

١) الصافات: ١٠١ - ١٠٧.

٢) آل عمران: ١٧٢.

مِن صَاعِ بُرِّهِ، مِن صَاعِ تَمْرِهِ، حتَّى قالَ: ولو بشِقِّ تَمْرَةٍ" فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ بصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا ، ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ في بذل صدقاتهم ، حتى صار وَجْه رَسولِ الله (صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ) يَتَهَلَّلُ من البشر والسرور[1].

وكانت سرعة استجابة صحابة نبينا (صلى الله عليه وسلم) في الانتهاء عما حرم كسرعة استجابتهم في طاعة الأوامر سواء بسواء ؛ فلما نزل قول الحق سبحانه في تحريم الخمر بصورة نهائية قاطعة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2]، قال الصحابة (رضي الله عنهم) : "انْتَهَيْنَا يَا رَبِّ"[3].

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لقد أكرم الحقُّ سبحانه أهلَ الاستجابةِ لله ورسولِه (صلى الله عليه وسلم) بالمغفرة التامة ، والنجاة والجنة يوم القيامة ، حيث يقول تعالى: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[4]، ولأن الجزاء من جنس العمل فإن الله سبحانه يستجيب دعاء من يستجيبون لأوامره،

---

١) صحيح مسلم ، كِتَاب الزَّكَاةِ ، بَابُ الْحُثِّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، أَوْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ وَأَنَّهَا حِجَابٌ مِنَ النَّارِ، حديث رقم: ١٠١٧.

٢) المائدة: ٩٠.

٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم ، كِتَابُ الْأَشْرِبَةِ ، حديث رقم: ٧٢٢٤.

٤) الأحقاف: ٣١.

حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[3].

فما أحوجنا إلى الاستجابة لله (عزَّ وجلَّ) ورسوله (صلى الله عليه وسلم) فهذا سبيل المؤمنين الصادقين، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[4].

* * *

---

١) البقرة: ١٨٦.

٢) آل عمران: ١٩٥.

٣) غافر: ٦٠.

٤) النور: ٥١.

احترام الكبير

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]، وأَشهدُ أن لَّا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، وبعد:

فإن احترام الكبير قيمة إنسانية نبيلة ، وخلقٌ إسلامي أصيل ، ونظرةُ الإسلام إلى الكبارِ نظرة تقديرٍ وإجلالٍ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "خِيارُكم أَطْوَلُكُمْ أَعْمَارًا ، وَأَحْسَنُكمْ أَخْلاقًا"[2]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "البَرَكَةُ مَعَ أَكَابِرِكُمْ"[3]، وحينما جاء سيدنا أَبو بَكْرٍ (رضي الله عنه) إلى نبينا (صلى الله عليه وسلم) آخذًا بيدي أبيه- الشيخ الكبير- أَبِي قُحَافَةَ؛ ليُسْلِمَ، قَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): لأبي بكرٍ (رضي الله عنه):"أَلَا تَرَكْتَهُ حَتَّى نَكُونَ نَحْنُ الَّذِي نَأْتِيهِ؟"[4] إكرامًا لشيبته.

وقد دعا ديننا الحنيف إلى احترام الكبير وإكرامه وتبجيله ، فهو الذي أفنى شبابه في طاعة الله (عز وجل)، وفي خدمة وطنه ومجتمعه ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ الله إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ

---

١) القلم: ٤.

٢) صحيح ابن حبان، كِتَابُ الْجَنَائِزِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مُقَدَّمًا أَوْ مُؤَخَّرًا، ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ مَنْ حَسُنَ عَمَلُهُ فِي طُولِ عُمْرِهِ جَعَلَنَا اللهُ مِنْهُمْ بِمَنِّهِ، حديث رقم: ٢٩٨١ .

٣) صحيح ابن حبان، كِتَابُ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، بَابُ الصُّحْبَةِ وَالْمُجَالَسَةِ، حديث رقم: ٥٥٩ .

٤) مسند ابن الجعد، ص: ٣٨٨، حديث رقم: ٢٦٥٢.

غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ"[1]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا"[2]، ويقول (عليه الصلاة والسلام): "يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ"[3]، وقال (صلى الله عليه وسلم) لمن أراد أن يتقدم في الكلام قبل رجلٍ كبير السن: "كَبِّرِ الكُبْرَ"[4]، أي: اقدر التقدُّم في العمر قدرَه ، ولا تتكلم قبل الكبير.

وعندما سأل نبينا (صلى الله عليه وسلم) أصحابه (رضي الله عنهم) عن شجرة مَثَلُها مَثَل المسلم، تُؤْتِي أكلها كل حين بإذن ربها، ولا يسقط ورقها، وقع في نفس عبد الله بن عُمَر (رضي الله عنهما) أنها النخلة، وكانت إجابته صحيحة، ولكنه مع صغر سنِّه كره أن يجيب النبيَّ (صلى الله عليه وسلم) في حضرة كبار الصحابة (رضي الله عنهم) احترامًا لهم[5].

وبلغ من اهتمـام الشـرع الحنيف بالكبير أن أوصى بمزيدٍ من التخفيف عليه في أداء العبادات رأفة به ، ورعاية لضعفه ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه

---

١) سنن أبي داود، كِتَاب الْأَدَبِ، بَاب فِي تَنْزِيلِ النَّاسِ مَنَازِلَهُمْ، حديث رقم: ٤٨٤٣ .

٢) سنن الترمذي، أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، بَابُ مَا جَاءَ فِي رَحْمَةِ الصِّبْيَانِ، حديث رقم: ١٩١٩ .

٣) صحيح البخاري، كِتَابُ الِاسْتِئْذَانِ، بَابُ تَسْلِيمِ القَلِيلِ عَلَى الكَثِيرِ، حديث رقم: ٦٢٣١ .

٤) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ إِكْرَامِ الكَبِيرِ، وَيَبْدَأُ الأَكْبَرُ بِالكَلاَمِ وَالسُّؤَالِ، حديث رقم: ٦١٤٢ ، وصحيح مسلم، كِتَابُ الْقَسَامَةِ وَالْمُحَارِبِينَ وَالْقِصَاصِ وَالدِّيَاتِ، بَابُ الْقَسَامَةِ، حديث رقم: ١٦٦٩ .

٥) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ إِكْرَامِ الكَبِيرِ، وَيَبْدَأُ الأَكْبَرُ بِالكَلاَمِ وَالسُّؤَالِ، حديث رقم: ٦١٤٤، وصحيح مسلم، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابُ مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّخْلَةِ، حديث رقم: ٢٨١١.

وسلم) : "إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ ، فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالكَبِيرَ وَذَا الحَاجَةِ "[1].

كما اعتنى الإسلام بكبير المقام، وحثَّ على توقيره واحترامه، حيث أمر نبيُّنا (صلى الله عليه وسلم) الصحابةَ (رضي الله عنهم) بالقيام إلى سيدنا سعد بن معاذ (رضي الله عنه) وقال لهم: "قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ" [2]، ويقول نبينا (عليه الصلاة والسلام) : " أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَـهُمْ "[3] ، وفي ذلك إرشادٌ إلى إكرامهم وتبجيلهم، والإحسانِ إليهم.

ولا شك أن قيمة احترام الكبير تتأكد إذا كان الكبير ذا رحم؛ لذلك كان احترام الوالدين وبرهما شيئًا لا نظير له، فقد أمرنا الحق (سبحانه وتعالى) بتمام البر والإكرام لهما ، حيث يقول سبحانه في كتابه العزيز: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[4]، وقد أكدت الآيات على حق الوالدين خصوصًا عند الكبر؛ ردًّا لبعض جميل عطائهما غير

---

١) صحيح البخاري، كِتَابُ الأَذَانِ، بَابُ تَخْفِيفِ الإِمَامِ فِي القِيَامِ، وَإِتْمَامِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، حديث رقم: ٧٠٢.

٢) متفق عليه: صحيح البخاري ، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ ، بَابُ إِذَا نَزَلَ العَدُوُّ عَلَى حُكْمِ رَجُلٍ ، حديث رقم: ٣٠٤٣ ، وصحيح مسلم ، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ جَوَازِ قِتَالِ مَنْ نَقَضَ الْعَهْدَ، وَجَوَازِ إِنْزَالِ أَهْلِ الْحِصْنِ عَلَى حُكْمِ حَاكِمٍ عَدْلٍ أَهْلٍ لِلْحُكْمِ ، حديث رقم: ١٧٦٨ .

٣) سنن أبي داود، كِتَاب الْأَدَبِ ، بَاب فِي تَنْزِيلِ النَّاسِ مَنَازِلَهُمْ ، حديث رقم: ٤٨٤٢ .

٤) الإسراء: ٢٣، ٢٤.

المحدود، وشكرًا على تضحياتها التي لا نظير لها، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾(١)، وذلك دأب الأنبياء والمرسلين، فهذا نبي الله (يحيى) عليه السلام يقول سبحانه في حقه: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾(٢)، ويقول تعالى على لسان عيسى (عليه السلام): ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾(٣)، وقد زَارَ نبينا (صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ) قَبْرَ أُمِّهِ، فَبَكَى وَأَبْكَى مَن حَوْلَهُ؛ برًّا بها وشوقًا إليها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، قَالَ: زَارَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَبْرَ أُمِّهِ ، فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ ، فَقَالَ: "اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي ، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ"(٤).

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين .

لا شك أن الموفَّق هو من استجلب دعوة أبويه باحترامهما والإحسان إليهما، فتتحقق سعادته في الدنيا والآخرة ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ يُسْتَجَابُ لَهُنَّ ، لَا شَكَّ فِيهِنَّ : دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ،

---

١) لقمان: ١٤.

٢) مريم: ١٤.

٣) مريم: ٣٢.

٤) صحيح مسلم ، كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، بَابُ اسْتِئْذَانِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) رَبَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ ، حديث رقم: ٩٧٦.

وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ"[1]، فدعوة الوالد لولده لا تُرد ولا تموت ، أما مَن لا يعرف احترام والديه وبرهما فلا خير فيه أصلًا ، وهو على خطر عظيم ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنَّانٌ، وَلَا عَاقٌّ، وَلَا مُدْمِنُ خَمْرٍ "[2]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟" ثَلاَثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله ، قَالَ: "الإِشْرَاكُ بِالله ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ"، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ[3].

كما أن المبالغة في احترام الوالدين وبرهما سبيل رضى الله (عز وجل)، حيث يقول نبينا (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "رِضَا اللهِ مِنْ رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُ اللهِ مِنْ سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ"[4].

* * *

---

١) سنن ابن ماجه ، كِتَابُ الدُّعَاءِ ، بَابُ دَعْوَةِ الْوَالِدِ وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ ، حديث رقم: ٣٨٦٢ .

٢) السنن الكبرى للنسائي ، كِتَابُ الْأَشْرِبَةِ ، ذِكْرُ الرِّوَايَةِ فِي الْمُدْمِنِينَ فِي الْخَمْرِ، حديث رقم: ٥١٦٢ .

٣) متفق عليه: صحيح البخاري ، كِتَابُ الشَّهَادَاتِ ، بَابُ مَا قِيلَ فِي شَهَادَةِ الزُّورِ، حديث رقم: ٢٦٥٤ ، واللفظ له، وصحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَان ، بَابُ بَيَانِ الْكَبَائِرِ وَأَكْبَرِهَا، حديث رقم: ١٤٣.

٤) شعب الإيمان للبيهقي، الشعبة الرابعة والخمسون (الحياء) ، حديث رقم: ٧٤٤٥.

حـق الوطـــن

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾[1]، وأَشهدُ أن لَّا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أَنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فإن حب الوطن فطرة إنسانية جليلة، وقيمة دينية عظيمة، وقد جسَّد نبينا (صلى الله عليه وسلم) معنى الحبِّ، والوفاء للوطن، حين أخرجه قومه من مكة المكرمة، فخاطبها قائلًا: "مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلْدَةٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلاَ أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ، مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ"[2]، على أن حب الوطن يقتضي احترام عَلَمِه، ونشيدِه، وسائرِ مقوماته، والحفاظ على أمنه وأمانه واستقراره.

ومما لا شك فيه أن حب الوطن لا ينحصر في مجرد كلماتٍ تقال، أو مجرد شعاراتٍ ترفع؛ إنما هو سلوكٌ وتضحياتٌ، وحقوقٌ تؤدى، من أعلاها وأشرفها: التضحية في سبيل حمايته، فالوطن أحد الكليات الست التي أحاطها الشرع الحنيف بسياجات عظيمة من الحفظ والصيانة، وحمايةُ الأوطان من صميم مقاصد الأديان، وتُعدُّ التضحيةُ بالنفس أعلى مراتب التضحية، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾[3]، ويقول سبحانه: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡ﴾[4]، وقد بشَّر نبينا

---

١) المائدة: ٢.

٢) صحيح ابن حبان، كتاب الحج، بَاب فَضْلُ مَكَّةَ، حديث رقم: ٣٧٠٩.

٣) التوبة: ١١١.

٤) الحديد: ١٩.

(صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حُرَّاس الوطن وحماته الذين يضحون بأنفسهم دفاعًا عنه ببشريات عظيمة، حيث يقول نبينا (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ، عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ الله، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ الله"(١)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِلَيْلَةٍ أَفْضَلَ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ حَارِسٌ حَرَسَ فِي أَرْضِ خَوْفٍ لَعَلَّهُ لَا يَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ"(٢).

كما أن الوطنية الحقيقية تقتضي المشاركة بإخلاص في بناء الوطن، من خلال إتقان العمل، وجودة الإنتاج؛ بما يؤدي إلى تقدم الوطن وازدهاره، فإن ديننا الحنيف لا يطلب من الناس مجرد العمل؛ إنما يطلب إتقانه وإحسانه، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ"(٣)، فإذا أردت أن تعرف وفاء الرجل، وأصالته، ونبله، وشهامته؛ فانظر إلى مدى ولائه لوطنه ، وحسن انتمائه له، وحنينه إليه ، وعمله لأجله ، قَالَ الْأَصْمَعِي: "إِذَا أَرَدْت أَنْ تَعْرِفَ وَفَاءَ الرَّجُلِ وَوَفَاءَ عَهْدِهِ، فَانْظُرْ إِلَى حَنِينِهِ إِلَى أَوْطَانِهِ وَتَشَوُّقِهِ إِلَى إِخْوَانِهِ وَبُكَائِهِ عَلَى مَا مَضَى مِنْ زَمَانِهِ "(٤).

ومن حق الوطن على أبنائه التكافل والتراحم فيما بينهم ، حتى تسود المحبة والمودة ، ويعيش المجتمع كله حياة آمنة مستقرة ، حيث يقول الحق سبحانه:

---

١) سنن الترمذي ، أَبْوَابُ فَضَائِلِ الْجِهَادِ عَنْ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الحَرَسِ فِي سَبِيلِ الله ، حديث رقم : ١٦٣٩.

٢) السنن الكبرى للنسائي ، كِتَابُ السِّيَرِ ، فَضْلُ حَارِسٍ الحَرَسِ ، حديث رقم: ٨٨١٧.

٣) مسند أبي يعلى الموصلي ، ٧/ ٣٤٩، حديث رقم : ٤٣٨٦.

٤) الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح ، ٣/ ٥٦٢ ، ط: عالم الكتب .

﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾[1]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"[2]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا"[3]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ"[4]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ"[5].

*　　*　　*

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

١) التوبة: ٧١.

٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ رَحْمَةِ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ، حديث رقم: ٦٠١١ ، وصحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، حديث رقم: ٢٥٨٦ ، واللفظ له.

٣) المعجم الأوسط ، ٦/ ١٣٩، حديث رقم: ٦٠٢٦.

٤) صحيح مسلم، كِتَابُ اللُّقَطَةِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ الْمُؤَاسَاةِ بِفُضُولِ الْمَالِ، حديث رقم: ١٧٢٨.

٥) صحيح مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ، حديث رقم: ٢٦٩٩.

لا شك أن من آكد حقوق الوطن تعزيز قيم الولاء والانتماء، وتعميق الشعور بالمسئولية تجاه المال العام والمرافق العامة ، وعدم فعل ما يضر بأبناء الوطن من الخيانة أو الغش أو الاحتكار أو الاستغلال ؛ لذلك نهى نبينا (صلى الله عليه وسلم) عن تلك الأدواء الخطيرة ، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): "الْمُحْتَكِرُ مَلْعُونٌ"[1]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "لاَ يَحْتَكِرُ إِلاَّ خَاطِئٌ"[2]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ دَخَلَ فِي شَيْءٍ مِنْ أسعار الْمُسْلِمِينَ لِيُغَلِّيَهُ عَلَيْهِمْ كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يُقْعِدَهُ بِعُظْمٍ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[3].

على أننا نؤكد أن المتاجرين بأزمات الوطن كسبُهم خبيثٌ ممحوقُ البركة في الدنيا والآخرة ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ الله بِغَيْرِ حَقٍّ ، فَلَهُمْ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[4]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): " .. وَلَا يُعْجِبْكَ امْرُؤٌ كَسَبَ مَالًا مِنْ حَرَامٍ ، فَإِنْ أَنْفَقَ مِنْهُ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ ، وَإِنْ أَمْسَكَ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ ، وَإِنْ مَاتَ وَتَرَكَهُ كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ"[5].

فما أحوجنا إلى القيام بحق الوطن، فالوطن لكل أبنائه، وهو بهم وبجهدهم وعرقهم جميعًا، كل في مجاله وميدانه، الجندي والشرطي في حفاظهما على أمن

---

١) سنن ابن ماجه، كِتَابُ التِّجَارَاتِ، بَابُ الْحُكْرَةِ وَالْجَلْبِ ، حديث رقم: ٢١٥٣ ، والمستدرك على الصحيحين للحاكم ، كِتَابُ الْبُيُوعِ ، حديث رقم: ٢١٦٤.

٢) صحيح مسلم، كِتَابُ الْمُسَاقَاةِ، بَابُ تَحْرِيمِ الِاحْتِكَارِ فِي الْأَقْوَاتِ، حديث رقم: ١٦٠٥ .

٣) مسند أحمد ، ٣٣/ ٤٢٦، حديث رقم: ٢٠٣١٣ .

٤) صحيح البخاري، كِتَابُ فَرْضِ الْخُمُسِ، بَابُ قَوْلِ الله تَعَالَى: {فَأَنَّ لله خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ} [الأنفال: ٤١] ، حديث رقم: ٣١١٨.

٥)المعجم الكبير للطبراني، ١٠/ ١٠٧، حديث رقم: ١٠١١١ .

الوطن وأمانه ، والطبيب في مشفاه ، والفلاح في حقله ، والعامل في مصنعه ، والطالب باجتهاده في تحصيل العلم ، وهكذا في سائر الصنائع والحرف والواجبات ، حيث يقول سبحانه : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[1].

* * *

1) المائدة: ٢.

الوطنية بين الحقيقة والادّعاء

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[1]، وأَشهدُ أن لَّا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أَنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فقد فطر الله (عزَّ وجلَّ) الناسَ على حب أوطانهم، وأسكن الانتماءَ إليها والدفاعَ عنها شغافَ قلوبهم، وهذَا نَبِيُّنَا (صَلَّىَ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يضرب لنا المثل الأعلى في حب الوطن والحنين إليه، حين قال مخَاطِبًا وطنَه مكةَ المُكرمةَ: "والله إِنَّكِ لخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ الله إلى الله، وَلَوْلاَ أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ؛ مَا خَرَجْتُ"[2]، وكذلك حين هَاجرَ (صَلَّىَ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إلى المدينةِ واتخذهَا وَطنًا لهُ ولأصحَابهِ الكرامِ، فإنه لم ينسَ (صَلَّىَ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وطنَه الذِي نشأَ فيهِ، ولا وطنَهُ الذِي استقرَّ فيهِ، فقالَ (صلى الله عليه وسلم): "اللهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مُدِّنَا"[3].

والوطنية الحقيقية ليست شعارات تُرفع ، ولا كلمات تُقال ، إنما هي حب صادق ، وولاء وانتماء وعطاء ، واستعداد دائم للتضحية في سبيله ، سواء أكانت

---

١) آل عمران: ١٠٣.

٢) سنن الترمذي ، أَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، بَابٌ فِي فَضْلِ مَكَّةَ ، حديث رقم: ٣٩٢٥.

٣) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب فَضَائِلِ المَدِينَةِ ، بَابُ كَرَاهِيَةِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنْ تُعْرَى المَدِينَةُ ، حديث رقم: ١٨٨٩، واللفظ له ، وصحيح مسلم ، كِتَابُ الْحَجِّ ، باب الترغيب في سكن المدينة والصبر على لأوائها ، حديث رقم: ١٣٧٦.

تلك التضحية بالمال أم بالوقت أم بالجهد أم بالنفس ، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾(١)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " مَن قُتِلَ دونَ مالِهِ فَهوَ شَهيدٌ ، ومن قُتِلَ دونَ أَهْلِهِ فَهوَ شَهيدٌ"(٢).

وقد بشَّر نبينا (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حرَّاس الوطن الذين يضحون بأنفسهم دفاعًا عنه بالنجاة التامة ، والمنازل العالية ، حيث يقول نبينا (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): " عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ ، عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ الله ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ الله"(٣)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): " أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِلَيْلَةٍ أَفْضَلَ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ حَارِسٌ حَرَسَ فِي أَرْضِ خَوْفٍ لَعَلَّهُ لَا يَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ"(٤).

كما أن الوطنية الحقيقية تقتضي التكاتف والتكافل والتراحم بين أبناء الوطن، والمشاركة الإيجابية في قضاء حوائج الضعفاء والمحتاجين ، وعدم استغلال الأزمات أو المتاجرة بها ، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾(٥)،

---

١) التوبة: ١١١.

٢) سنن النسائي، كِتَابُ تَحْرِيمِ الدَّمِ، باب مَنْ قَاتَلَ دُونَ دِينِهِ، حديث رقم: ٤٠٩٥.

٣) سنن الترمذي، أَبْوَابُ فَضَائِلِ الْجِهَادِ عَنْ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الحَرَسِ فِي سَبِيلِ الله، حديث رقم: ١٦٣٩.

٤) السنن الكبرى للنسائي، كِتَابُ السِّيَرِ، باب فَضْل حَارِسِ الحَرَسِ، حديث رقم: ٨٨١٧.

٥) المائدة: ٢.

ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى الله تَعَالَى أَنْفَعَهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى الله سُرُورٍ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دِينًا ، أَوْ تُطْرَدُ عَنْهُ جُوعًا"[1]، ويقول (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : "صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ"[2]، ويقول (عليه الصلاة والسلام) : "إنَّ الأشعَرِيِّينَ إذا أرْمَلوا في الغَزْوِ ، أو قلَّ طعامُ عيالِهِم بالمدينةِ ، جَمَعوا ما كانَ عندهم في ثوبٍ واحدٍ ، ثم اقْتَسَموهُ بينَهُم في إناءٍ واحدٍ بالسَّويَّةِ ، فهُم مني ، وأنا منهُم"[3].

ومن أسس الوطنية الحقيقية إتقان العمل والإنتاج ، وتجويده والتميز فيه ؛ قصدًا لرفعة الوطن وتنميته وتقدمه وازدهاره ، وامتثالًا لقول نبينا (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):"إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ"[4]، واستشعارًا لرقابة الله (عزَّ وجلَّ) للإنسان في كل حركاته وسكناته ، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[5]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ

---

١) المعجم الكبير للطبراني ، ١٢/ ٤٥٣، حديث رقم: ١٣٦٤٦.

٢)المعجم الكبير للطبراني ، ٨/ ٢٦١، حديث رقم: ٨٠١٤.

٣) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَاب الشَّرِكَةِ، بَابُ الشَّرِكَةِ فِي الطَّعَامِ وَالنَّهْدِ وَالعُرُوضِ، حديث رقم: ٢٤٨٦، وصحيح مسلم، كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ)، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ الْأَشْعَرِيِّينَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ)، حديث رقم: ٢٥٠٠.

٤) مسند أبي يعلى الموصلي ، ٧/ ٣٤٩، حديث رقم: ٤٣٨٦.

٥) الحديد: ٤.

﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾[1].

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

ونؤكد أن الوطنية الحقيقية تتطلب احترام عَلَم الوطن، ونشيده ورموزه، وسائر شعاراته، وحسن تمثيله في الداخل والخارج، وفي جميع المحافل الوطنية والدولية، والحرص على رفع رايته عالية خفاقة، ومواجهة ما يتعرض له من تحديات أو مخاطر أو بث شائعات ، والتنبه لمكائد خصومه وعدم مجاراة ما يبثونه من سموم، بل الإسهام في دحضها وتفتيتها، وبيان زيفها وادعاء أصحابها.

إن الوطني الحقيقي لا يكذب ، ولا يخون ، ولا يغش ، ولا يحتكر، ولا يتآمر، ولا ينشر الشائعات ، والوطنية الحقيقية بناء لا هدم، إعمار لا تخريب، الوطنية الحقيقية فن صناعة الحياة وعمارة الكون، حيث يقول سبحانه: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾[2]، فحيث تكون المصلحة ويكون البناء والتعمير، فثم شرع الله وصحيح الإسلام والوطنية الحقيقية، وحيث يكون الهدم والتخريب والدمار والمتاجرة بالأزمات فثمة ادعاء كاذب ووطنية مزيفة.

* * *

---

١) يونس: ٦١.

٢) هود: ٦١.

الحفاظ على الأوطان من صميم مقاصد الأديان

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[1]، وأَشهدُ أن لَّا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أَنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إِلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فقد امتنَّ الله (عزَّ وجلَّ) على عباده بنعم جليلة وآلاء جسيمة ، من أهمها وأغلاها نعمة الوطن، حيث يعيش الناس في أمن وأمان، وسكن وطمأنينة، وحياة كريمة، بلا خوف أو وجل أو فزع؛ لذلك كان حب الوطن شعورًا تخفق له القلوب، وحنينًا يملأ الوجدان، فالوطن ليس مجرد أرض نسكن فيها، إنما هو كيان عظيم يتملكنا ويسكن فينا، وقد رسَّخ نبينا (صلى الله عليه وسلم) هذه المعاني وأكَّدها حين خاطب وطنه مكة المكرمة، عندما أُخرج منها قائلًا: " وَالله إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ الله، وَأَحَبُّ أَرْضِ الله إِلَى الله، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ " [2].

والوطن أحد الكليات الست التي أحاطها الشرع الحنيف بسياجات عظيمة من الحفظ والصيانة، فالحفاظ على الأوطان من صميم مقاصد الأديان، والدين لا يقوى إلا في ظل وطن قوي يحميه ويدافع عنه، ولا يأمن الناس على دينهم ولا عقائدهم ما لم يأمنوا في أوطانهم.

١) يوسف: ٩٩.

٢) سنن الترمذي، أَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، بَابٌ فِي فَضْلِ مَكَّةَ ، حديث رقم: ٣٩٢٥.

والحفاظ على الأوطان يبدأ من شعور المواطن بقدر نعمة الوطن ومسئوليته عن أمنه واستقراراه، واستعداده للتضحية من أجله وفدائه بالنفس والنفيس، فالوطنية الحقيقية عطاء وفداء وعزة وكرامة، وإباء وشموخ، في حسنِ ولاء وانتماء، ووقوف إلى جانب الأوطان في الشدة والرخاء، ومرابطة على ثغورها لتأمين حدودها، وردع كل معتدٍ، أو من تسول له نفسه الاعتداء عليها، أو النيل من مقدراتها، ولله در القائل:

بِــلادٌ مـاتَ فِتيَتُهـا لِتَحـيـا   وَزالـوا دونَ قَومِهِـمُ لِيَبـقـوا[1]

ولا شك أنَّ الحفاظَ على نعمة الأمن لُبُّ الحفاظ على الأوطان واستقرارها، واستمرار تقدمها وازدهارها، فالأمن من أجلِّ النعم التي امتن الله (عزَّ وجلَّ) بها على عباده، حيث يقول الحق سبحانه ممتنًّا على قريش: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ * إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ * فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ * ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾[2]، ويقول سبحانه ممتنًّا على مكة وأهلها: ﴿أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[3]، ويقول تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ﴾[4]، ويقول نبينا (صلى الله عليه

---

١) ديوان أمير الشعراء أحمد شوقي.

٢) قريش: ١-٤.

٣) القصص: ٥٧.

٤) العنكبوت: ٦٧.

وسلم): " مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا"[١]، فإذا وُجد الأمن طابت العافية وهنأت الأقوات ، وإذا فُقِد الأمن تبعه فَقْدُ كل شيء.

ومن أهم عوامل الحفاظ على الأوطان: الأخذ بأسباب القوة والعلم والعمل، وجودة الإنتاج، والبناء والتعمير، فكل ما يؤدي إلى التعمير وقوة الأوطان فهو من صميم مقاصد الأديان، فالدين فن صناعة الحياة والبناء، لا الموت ولا الهدم، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾[٢]، ويقول سبحانه: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾[٣]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): " مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ"[٤]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): " إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ إذا عَملَ أَحدكمْ عَملاً أَنْ يُتقنهُ " [٥]، ويقول الشاعر[٦]:

١) سنن الترمذي، أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، بَابٌ فِي التَّوَكُّلِ عَلَى الله ، بابٌ منه، حديث رقم: ٢٣٤٦.

٢) الملك: ١٥.

٣) التوبة: ١٠٥.

٤) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، حديث رقم: ٢٠٧٢ .

٥) شعب الإيمان للبيهقي، الشعبة الخامسة والثلاثون (الأمانات وما يجب من أدائها إلى أهلها) ، حديث رقم: ٤٩٣٠.

٦) ديوان أمير الشعراء أحمد شوقي .

بِالْعِلْمِ وَالمَالِ يَبْنِي النَّاسُ مُلْكَهُمُ   لَـمْ يُبْنَ مـُلْكٌ عَلَى جَهْلٍ وَإِقْلالِ

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن الحفاظ على الأوطان يتطلب التكاتف والتعاون وإعلاء المصلحة العامة، للرقي بها، والحفاظ على أمنها وسلامها ومقدراتها ومكتسباتها، بعيدًا عن كل صور الفردية والأنانية والسلبية، وقد ضرب لنا نبينا (صلى الله عليه وسلم) مثلًا للأمة في تماسكها وتكافلها وتراحمها، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"[1]، وقد قالوا: ما استحق أن يولد من عاش لنفسه.

فالأوطان مسئوليتنا جميعًا أمام الله (عزَّ وجلَّ)، وأمام أنفسنا، والأوطان بأبنائها جميعًا، وليست لطائفة منهم دون طائفة، ولا يمكن أن تنهض ببعضهم دون بعض؛ فكلنا في سفينة واحدة، وعلينا مجتمعين متضامنين أن نعمل للنجاة بها، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): " مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا ، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا، وَبَعْضُهُمْ

١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، حديث رقم: ٦٠١١، وصحيح مسلم ، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، حديث رقم: ٢٥٨٦ ، واللفظ له.

أَسْفَلَهَا ، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ ، فَقَالُوا : لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا ، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا ، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا ، وَنَجَوْا جَمِيعًا " (١).

❊ ❊ ❊

١) صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب: هل يقرع في القسمة والاستهام فيه ، حديث رقم: ٢٤٩٣.

دور مصر في بناء الحضارة الإنسانية

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[1]، وأَشهدُ أن لَّا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فإن وطننا الحبيب مصر مهد الحضارات ، وموطن الرسالات ، والقلب النابض للعروبة والإسلام ، وهو البلد الذي اقترن ذكره في القرآن الكريم بالأمن والأمان ، حيث يقول الحق سبحانه على لسان سيدنا يوسف (عليه السلام): ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[2]، ولله در القائل:

مَن شاهد الأرضَ وأقطارَها والنَّاسَ أنواعًا وأجناسا
ولا رأى مصرَ ولا أهلَها فما رأى الدنيا ولا النَّاسا

ووطننا مصر بلد الخيرات والبركات، فقد وصفها الحق سبحانه على لسان سيدنا يوسف (عليه السلام) بخزائن الأرض، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾[3]، وعلى أرض سيناء المباركة كلَّم الله تعالى موسى (عليه السلام) تكليمًا، ومنها تزوج أبو الأنبياء إبراهيم (عليه السلام) أمَّنا هاجر (عليها السلام) أم سيدنا إسماعيل (عليه السلام) جد نبينا (عليه الصلاة والسلام).

---

١) يوسف: ٩٩.

٢) يوسف: ٩٩.

٣) يوسف: ٥٥.

وقد أوصى نبينا (صلى الله عليه وسلم) بمصر وأهلها خيرًا ، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا"[١].

ومصرُ أُمُّ الحضارات الإنسانية، فقد تلاقت على أرضها حضارات عديدة عبر العصور، الفرعونية والإغريقية والرومانية والقبطية والإسلامية صقلت شعبها بمزيج خاص هو الحضارة المصرية العظيمة السمحة ، وظل شعب مصر على طول التاريخ متسمًا بالحب، متصفًا بالود والكرم والتسامح، حيث امتزج أبناء مصر في نسيج واحد متين على مر التاريخ واختلاف الثقافات ، وبنت مصر حضارتها على القيم والأخلاق ؛ مدركةً أن الحضارة التي تُبنى على غير القيم والأخلاق والتسامح تحمل عوامل سقوطها في أصل بنائها وأسس قيامها.

وقد أسست مصر لحضارة عظيمة أفادت الإنسانية في شتى العلوم والفنون، حيث كان للمصريين إسهامات عظيمة في مجالات العلوم والمعرفة عبر التاريخ، وبرعوا في مجالات الطب ، والهندسة، والفلك، والتحنيط، والزراعة، والبناء، ولا يزال المصريون عبر العصور صُنَّاعًا للحضارة، وها هي الأهرامات أحد عجائب الدنيا السبع تقف شاهدًا شامخًا من شواهد حضارتها العظيمة.

كما أن مصر أَثْرَت الحضارة الإنسانية بالعلم والمعرفة منذ فجر الإنسانية، وقد كان نبي الله إدريس (عليه السلام) مصريًّا، قال نبينا (صلى الله عليه وسلم) عنه:

---

١) صحيح مسلم، كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ)، بَاب وَصِيَّةِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِأَهْلِ مِصْرَ، حديث رقم: ٢٥٤٣.

"أَوَّلُ مَنْ خَطَّ بِالْقَلَمِ"[1]، وقال المناوي (رحمه الله) في "فيض القدير": كان (عليه السلام) أول من كتب ونظر في علم الحساب، وقال: هو أول من خاط الثياب ولبسها"[2]، ولا يقف الأمر عند سيدنا إدريس (عليه السلام)، فقد برع الكثير من أبناء مصر في العديد من المجالات قديمًا وحديثًا.

❋ ❋ ❋

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن المتأمل في التاريخ الإنساني يدرك أن مصر كانت ملاذًا للعالم في الأخطار والمجاعات، فقد وضع نبي الله يوسف (عليه السلام) خطة للإنقاذ من مجاعة أحاطت بالعديد من دول الجوار آنذاك، وازن فيها بين العمل الدؤوب، والإنتاج المتقن، والاستهلاك الرشيد، والادّخار المحكم، فتحقق للبلاد الرخاء والازدهار والقوة الحضارية والاقتصادية، ووفد الناس إلى مصر من كل فج عميق لينالوا من خيراتها.

وقد حكى القرآن الكريم تلك القصة على لسان سيدنا يوسف (عليه السلام) تأويلًا لرؤيا عزيز مصر في قوله تعالى: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ

---

١) صحيح ابن حبان، كِتَابُ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، بَابُ الصِّدْقِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، حديث رقم: ٣٦١.

٢) فيض القدير للمناوي، ٣/ ٩٧.

لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[1]، فإليها كان يلجأ الخائف والمستجير، كما كانت على مرِّ تاريخها العظيم حائط صد كبير للأخطار والأعداء المتربصين بها أو بأمنها أو بجوارها أو منطقتها.

وكما كانت مصر عبر تاريخها الطويل ذات أثر بالغ في الحضارة الإنسانية، فها هي مصر الحاضر في الجمهورية الجديدة تبهر العالم كله بطاقة مشعة، وقوة دافعة، وإرادة قيادة، وعزيمة شعب، وجهود جبارة في البناء والتعمير، في مواجهة الإرهاب والفكر المتطرف، وفي مواجهة آثار التغيرات المناخية، حيث استطاعت أن تجمع كبار قادة العالم على أرضها للعمل على وضع حلول جذرية لمواجهة آثاره الخطيرة، لتبعث من أرض السلام دعوة للعالم كله " تعالوا لنعمل معًا لصالح الإنسانية جمعاء في إطار وحدة المصير الإنساني المشترك في هذا الكون".

* * *

---

١) يوسف: ٤٧- ٤٩.

الدين والوطن والإنسانية معًا
بناء لا هدم

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (١)، وأَشهدُ أن لَّا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أَنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فقد جاءت الأديان لتحقيق مصالح البلاد والعباد، فحيث تكون المصلحة المعتبرة فثمة شرع الله الحنيف، والدين ليس بمعزل عن حركة الكون وعمارته، بل هو فن صناعة الحياة لا صناعة الموت، وثقافة البناء لا الهدم، والإصلاح لا الإفساد، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (٢)، ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (٣).

والدين والوطن يتكاملان ولا يتناقضان، ويرسِّخان معًا لأسس العمل والإتقان والبناء والتعمير ، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (٤)، ويقول سبحانه: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا

١) الإسراء: ٧٠.

٢) هود: ٦١.

٣) الأعراف: ٥٦.

٤) البقرة: ١٩٥.

﴿تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[1]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ الله يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلا أَنْ يُتْقِنَهُ"[2].

كما أن الدين والوطن والإنسانية معًا تجتمع على الدعوة إلى التكافل المجتمعي، وتحقيق التآلف والتراحم بين الناس ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ"[3]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"[4]، فالأديان رحمة كلها ، عدل كلها ، سماحة كلها ، يسر كلها، وهو ما عليه الإنسانية السوية ، والوطنية الحقيقية.

والمتأمل في سيرة نبينا (صلى الله عليه وسلم) يدرك التناغم بين الدين والوطن والإنسانية، وهو ما يظهر جليًّا في أحداث الهجرة النبوية المشرفة، فها هو (صلى الله عليه وسلم) حين أُخرج من وطنه مكة التفت إليه، وخاطبه قائلًا: "عَلِمْتُ

---

١) يونس: ٦١.

٢) مسند أبي يعلى الموصلي ، ٧/ ٣٤٩، حديث رقم: ٤٣٨٦.

٣) سنن الترمذي، أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، بَابُ مَا جَاءَ فِي رَحْمَةِ الْمُسْلِمِينَ، حديث رقم: ١٩٢٤.

٤) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَاب الأَدَبِ، بَاب رَحْمَةِ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ، حديث رقم: ٦٠١١، وصحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَاب تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، حديث رقم: ٢٥٨٦، واللفظ له.

أَنَّكِ خَيْرُ أَرْضِ الله، وَأَحَبُّ الْأَرْضِ إِلَى الله (عزَّ وجلَّ)، وَلَوْلَا أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا خَرَجْتُ" [1]، فلما نزل بالمدينة واستقر بها قال: "اللهمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ" [2]، كما ترك نبيُّنا (صلى الله عليه وسلم) عليًّا (رضي الله عنه) ينام مكانه؛ ليرد الأمانات إلى أصحابها من أهل مكة .

كما نلمح ذلك التكامل في وفاء نبينا (صلى الله عليه وسلم) لصاحبه ورفيقه في الهجرة وفي الدعوة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، وكان (صلى الله عليه وسلم) في أعلى درجات الوفاء لأصحابه ولأهله ولأمته، حيث يقول: "إِنَّ أمنَّ النَّاسِ عَلَيَّ في صُحْبَتِهِ ومالِه أبو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خليلًا - غير ربِّي- لاتَّخذتُ أَبَا بَكْرٍ ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلامِ وَمَوَدَّتُهُ"[3].

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا شك أن الدين والوطنية والإنسانية تقتضي التعـايش والتسامح بين الناس جميعًا، وتجتمع على حفظ حياة الإنسان وقدره وكرامته لمطلق إنسانيته، أيًّا كان

---

١) مسند أحمد ، ٣١/ ١٣، حديث رقم: ١٨٧١٧.

٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَابُ الدَّعَوَاتِ، بَابُ الدُّعَاءِ بِرَفْعِ الوَبَاءِ وَالوَجَعِ ، حديث رقم: ٦٣٧٢، واللفظ له، وصحيح مسلم، كِتَابُ الْحَجِّ، باب الترغيب في سكن المدينة والصبر على لأوائها، حديث رقم: ١٣٧٦.

٣) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم)، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "سُدُّوا الأَبْوَابَ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ"، حديث رقم: ٣٦٥٤، واللفظ له، وصحيح مسلم، كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ)، بَاب مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)، حديث رقم: ٢٣٨٢.

لونه، أو عِرقه، أو دينه، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[3]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "أَلَا لا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ ، وَلا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ ، وَلا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ ، إِلَّا بِالتَّقْوَى"[4].

وقدْ طبَّقَ نبيُّنا (صلى الله عليه وسلم) ذلك التعايش تطبيقًا عمليًّا، من خلال تعامله (صلى الله عليه وسلم) مع مجتمع المدينة، حيث أسَّس نظامًا من التعايش السلمي في إطار من الإنسانية الخالصة، والوطنية الصادقة، وأنشأ صحيفة المدينة التي تعد أفضل أنموذج في التعايش السلمي، حيث جعل (صلى الله عليه وسلم) لغير المسلمين ما للمسلمين من الحقوق والواجبات، ويكفي أن نتأمل ما اشتملت عليه هذه الوثيقة من "أَنَّ يَهُودَ المدينة أُمَّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ"[5].

---

1) الإسراء: ٧٠.

2) المائدة: ٣٢.

3) الحجرات: ١٣.

4) مسند أحمد ، ٣٨/ ٤٧٤، حديث رقم: ٢٣٤٨٩.

5) السيرة النبوية لابن كثير، ٢/ ٣٢٢، و سيرة ابن هشام، ١/ ٥٠٣.

وكل ذلك يقتضي أن نتعاون في تحقيق المصالح العامة على المستوى الوطني والدولي، وفي دفع المفاسد العامة على المستوى الوطني والدولي، ولا سيما ما يتصل بمواجهة جماعات الإرهاب ودعاة الإفساد والفوضى ، وكذلك التعاون في مواجهة التحديات المناخية والتأثيرات السلبية لتغيُّر المناخ ، والعمل معًا لكل ما فيه صالح الإنسان أينما كان على إطلاق إنسانيته ، وبغض النظر عن دينه أو لونه أو جنسه.

فما أحوجنا إلى الوعي بذلك التكامل بين الدين والوطن والإنسانية، حتى يتحقق الأمن والاستقرار والتقدم لوطننا الحبيب.

* * *

دروس من الهجرة النبوية

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]، وأَشهدُ أن لّا إلهَ إلّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فقد كانت الهجرة النبوية المباركة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة حدثًا غيَّر مجرى التاريخ ، وفاتحة خير في تاريخ الإسلام والمسلمين، وتلك الرحلة المباركة حافلة بالدروس العظيمة ، والحِكم الباهرة ، منها: تجلِّي خُلق الأمانة في حياة نبينا (صلى الله عليه وسلم)، فقد كان المشركون يودعون أماناتهم عنده (صلى الله عليه وسلم) رغم كفرهم به؛ وكانوا يلقبونه بالصادق الأمين، وعندما أراد المصطفى (صلى الله عليه وسلم) الهجرة إلى المدينة المنورة ترك سيدَنا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في مكة؛ ليرد الأمانات إلى أهلها، رغم أنهم آذوه (صلى الله عليه وسلم)، وآذوا أصحابَه (رضي الله عنهم)، وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم؛ تلك هي الأمانة في أسمى معانيها[2].

---

1) التوبة : ٤٠.

2) سيرة ابن هشام ، ١/ ٤٨٠ .

وتتجلى في رحلة الهجرة معية الحق سبحانه لحبيبه ومصطفاه (صلى الله عليه وسلم)، حين قال له صاحبه أبو بكر (رضي الله عنه) وهما في الغار والمشركون على حافته: يا رسول الله ، لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، فكان الرد من نبينا (صلى الله عليه وسلم): "يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا، لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا"[1]، وفي ذلك يقول الحق سبحانه: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾[2] .

ومع تلك المعية الإلهية أخذ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأسباب النجاح من التخطيط، واختيار الصاحب والدليل، في تكامل وتنسيق بديع بين أدوار كفاءات المجتمع على اختلاف أجناسه وأطيافه، وكان مع كلِّ ذلك صدقُ اعتماد قلب نبينا (صلى الله عليه وسلم) على معية ربه وتوفيقه؛ ليتجلى حسنُ التوكل الحقيقي على الله (عزَّ وجلَّ) في كل جوانب الرحلة المباركة.

ومن دروس الهجرة النبوية المباركة : تأسيس بناء الدولة وإقامة أركانها، بدءًا ببناء المسجدِ منارةً للعبادة والعلم والتربية، تتكون فيه الشخصية المسلمة السوية التي تعمِّر الدنيا بالدين؛ فتبني ولا تهدم، وتعمِّر ولا تخرب، ومرورًا بإقامة السوق إشارةً واضحة إلى أهمية الجانب الاقتصادي في بناء الدول، وليكون سوقًا قائمًا على الأخلاق الإسلامية الفاضلة في البيع والشراء؛ وبذلك يؤسس

---

١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم ، حديث رقم: ٣٦٥٣، وصحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة (رضي الله تعالى عنهم) ، بَابٌ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) ، حديث رقم: ٢٣٨١.

٢) التوبة : ٤٠.

رسولُنا الكريم (صلى الله عليه وسلم) لمجتمع متوازن مستقر، لا يطغى فيه شيء على حساب آخر؛ تحقيقًا لرسالة الإسلام المتكاملة، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[1]، ذلك إلى جانب وثيقة المدينة المنورة التي رسخت لأسس العيش المشترك بين سكان المدينة جميعًا [2].

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا شك أن وثيقة المدينة التي أبرمها نبينا (صلى الله عليه وسلم) بعد استقراره بالمدينة المنورة تعد أهم وثيقة للعيش المشترك في تاريخ البشرية ، حيث نصت على إقامة الحقوق والواجبات على أساس وطنيّ وإنسانيّ ، حين قررت أن سائر اليهود بالمدينة مع المؤمنين أمة ، فأقرت حرية المعتقد ، وحرمة دور العبادة للجميع دون تمييز.

وأيُّ إنْسانِيَّة ، وأيُّ حضارةٍ ، وأي رقيٍّ وتقدير لمفاهيم الإنسانية يمكن أن يرقى إلى ما كان من تسامح نبينا (صلى الله عليه وسلم) حين أثبت في وثيقة المدينة: "لليهود دينهم" قبل إثباته "للمسلمين دينهم"، تلك أعلى درجات الإنصاف والتسامح .

كما أن رسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم) رسَّخ مبدأ الأخوة ووحدة الصف

---

١) الملك: ١٥ .

٢) سيرة ابن هشام: ١/ ٥٠١.

بين المسلمين، حين آخى بين المهاجرين والأنصار؛ امتثالًا لقول الحق سبحانه: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾(1)، وقوله (عزَّ وجلَّ): ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾(2)، وفي ذلك يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "لا تَحاسدُوا، وَلا تناجشُوا، وَلا تَباغَضُوا، وَلا تَدابرُوا، وَلا يبِعْ بعْضُكُمْ عَلَى بيْعِ بعْضٍ ، وكُونُوا عِبادَ الله إِخْوانًا ، المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِم : لا يَظلِمُه، وَلا يَحْقِرُهُ ، وَلا يَخْذُلُهُ"(3).

فما أحوجنا إلى استلهام معاني الهجرة النبيلة بالتحول إلى ما يرضي الله (عزَّ وجلَّ) من العمل الصالح، وبالتحول من البطالة والكسل إلى الجد والعمل، ومن الأثرة والأنانية إلى الإخاء الإنساني الصادق ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ يَدِهِ وَلِسَانِهِ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى الله عَنْهُ"(4).

* * *

1) آل عمران : 103 .

2) الأنفال: 46 .

3) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، بَابُ تَحْرِيمِ ظُلْمِ المُسْلِمِ، وَخَذْلِهِ، وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَالِهِ ، حديث رقم: 2564.

4) سنن النسائي ، كتاب الإيمان وشرائعه ، صفة المؤمن ، حديث رقم: 4995 .

حياة النبي (صلى الله عليه وسلم)
من الميلاد إلى البعثة

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، وأَشهدُ أن لَّا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، وبعد:

ففي شهر ربيع الأول من كل عام تهلُّ علينا ذكرى ميلاد سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، عطرةَ النسيم ، فَوَّاحةَ الطِّيب ، وقد كان ميلادُ سيد الخلق وخاتم المرسلين (صلى الله عليه وسلم) بحقٍّ ميلادَ أمة بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ، فازدان بوجوده الكون، وأشرقت بقدومه الدنيا، فهو (صلى الله عليه وسلم) كما حدثنا عن نفسه ، فقال : "أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيم ، وَبُشْرَى أَخِي عِيسَى ، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلَتْ بِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَت لَهُ قُصُورُ بُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّام" [2]، ولله درُّ القائل[3]:

وُلِد الهُدى فالكائنات ضيـاءُ   وفـم الزمـان تبسُّمٌ وثنـاءُ

ونبيُّنا (صلى الله عليه وسلم) خيرُ أهل الأرض نَسَبًا ؛ حيث يقول الحق سبحانه في نسب نبيه الكريم (صلى الله عليه وسلم): ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[4]،

---

١) التوبة : ١٢٨.

٢) مسند أحمد ، ٢٨/ ٣٩٥ ، حديث رقم: ١٧١٦٣، صحيح ابن حبان ، كتاب التاريخ ، ذكر كتبة الله جل وعلا عنده محمدًا (صلى الله عليه وسلم) خاتم النبيين ، حديث رقم : ٦٤٠٤.

٣) القائل: أمير الشعراء أحمد شوقي ، قصيدة الهمزية.

٤) الشعراء : ٢١٩.

يقول ابن عباس (رضي الله عنهما): أي: في أصلاب الآباء ، آدم ونوح وإبراهيم (عليهم السلام) حتى أخرجه نبيًّا[١]، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "إِنَّ الله اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ"[٢]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ الله خَلَقَ الخَلْقَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ مِنْ خَيْرِ فِرَقِهِمْ وَخَيْرِ الفَرِيقَيْنِ ، ثُمَّ تَخَيَّرَ القَبَائِلَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ قَبِيلَةٍ ، ثُمَّ تَخَيَّرَ البُيُوتَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ بُيُوتِهِمْ، فَأَنَا خَيْرُهُمْ نَفْسًا، وَخَيْرُهُمْ بَيْتًا"[٣].

وقد نشأ الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وسلم) يتيمًا ، إذ مات أبوه وهو في بطن أمه ، ولما بلغ من العمر ست سنوات ماتت أمُّه ، إلا أن الله (عزَّ وجلَّ) ربَّاه وآواه، وأدَّبه فأحسن تأديبه، يقول سبحانه: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾[٤]، كما هيَّأ سبحانه لحبيبه ومصطفاه (صلى الله عليه وسلم) أسباب الرعاية ، فتولَّى أمرَه جدُّه عبد المطلب ، واعتنى به أفضل عنايةً ، وكفله عمُّه أبو طالب ، واختصَّه بوافر الاحترام ، وكامل التقدير.

وقد كانت حياة نبينا (صلى الله عليه وسلم) قبل البعثة وبعدها أكرم حياة وأشرفها ، في سمو خلقٍ ، وعظمة نفسٍ ، فكان نبينا (صلى الله عليه وسلم) أفضل الناس مروءة ، وأحسنهم خلقًا ، وأكرمهم جوارًا ، وأصدقهم حديثًا،

---

١) تفسير القرطبي، ١٣/ ١٤٤ .

٢) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، بَابُ فَضْلِ نَسَبِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وَتَسْلِيمِ الْحَجَرِ عَلَيْهِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ ، حديث رقم: ٢٢٧٦.

٣) سنن الترمذي ، أبواب المناقب ، بَابٌ فِي فَضْلِ النَّبِيِّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، حديث رقم: ٣٦٠٧.

٤) الضحى : ٦.

وأبعدهم عن رذائل الأخلاق ، يقول (صلى الله عليه وسلم): "مَا هَمَمْتُ بِشَيْءٍ- أي: من سيئ الأخلاق - مما كان أهل الجاهليَّة يعملون به إلا مرتين كلتاهما يعصمني الله (عزّ وجلّ) منها"[1]، وكان (صلى الله عليه وسلم) كما وصفته زوجه أم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها): حيث قالت: وَالله لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا ، وَالله إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ"[2]، وصدق الله تعالى حيث يقول : ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[3].

ويضرب لنا نبيُّنا (صلى الله عليه وسلم) قبل بعثته المثلَ الأعلى في الإيجابية التي هي سبيل المؤمن الحق، حين شارك (صلى الله عليه وسلم) في بعض أحداث مجتمعه وقضاياهم المهمة ، فكانت مشاركته (صلى الله عليه وسلم) المؤثرة في حلف الفضول بين قبائل تعاهدت على أن يكونوا يدًا واحدة في نُصْرَة المظْلوم، والدفاع عن الحق، والتكافل والتعاون، وقد قال (صلى الله عليه وسلم) معبِّرًا عن رضاه بهذا الحِلف:"وَلَوْ أُدْعَى بِهِ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ"[4].

* * *

---

١) مسند البزار، ٢/ ٢٤٠ ، حديث رقم: ٦٤٠.

٢) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب{ما ودعك ربك وما قلى} [الضحى: ٣]، حديث رقم: ٤٩٥٣ ، وصحيح مسلم ، كِتَابُ الْإِيمَانِ ، بَابُ بَدْءِ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، حديث رقم : ٢٥٢ .

٣) الأنعام: ١٢٤.

٤) السنن الكبرى للبيهقي ، جُمَّاعُ أَبْوَابِ تَفْرِيقِ مَا أُخِذَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَخْمَاسِ الْفَيْءِ غَيْرِ الْمُوجَفِ عَلَيْهِ ، بَابُ إِعْطَاءِ الْفَيْءِ عَلَى الدِّيوَانِ وَمَنْ يَقَعُ بِهِ الْبِدَايَةُ ، حديث رقم: ١٣٠٨٠.

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لقد شارك سيد الخلق (صلى الله عليه وسلم) قومه في بناء وتجديد الكعبة المشرفة ، فكان الحَكَم العدل بين قومه فيمن ينال منهم شرف وضع الحجر الأسود مكانه ، بعدما كادوا يقتتلون فيما بينهم ، فاستقروا على تحكيم أول داخل عليهم ، وشاء الحق سبحانه أن يكون نبيُّه (صلى الله عليه وسلم) أول الداخلين عليهم، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رضينا به ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : "هلمَّ إليَّ ثوبًا"، فأتوه به، فوضع الحجر في وسطه، ثم قال: "لتأخذ كلُّ قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه جميعًا" ففعلوا ، فلما بلغوا به موضعه ، أخذه (صلى الله عليه وسلم) بيده الشريفة ووضعه في مكانه[1].

وكانت بعثةُ النبي (صلى الله عليه وسلم) المباركة مسكَ الختام لأربعين سنة من عمره الشريف (صلى الله عليه وسلم)، ليبدأ ببعثته (صلى الله عليه وسلم) عهدٌ جديدٌ للإنسانية ، تتعرف فيه على أرقى المبادئ ، وأسمى القِيَم ، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[2]، ويقول سيدنا جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه):"كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ ،

---

١) سيرة ابن هشام ١/ ١٩٧، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م.

٢) آل عمران : ١٦٤.

وَنُسِيءُ الْجِوَارَ ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ ، وَصِدْقَهُ ، وَأَمَانَتَهُ ، وَعَفَافَهُ ، فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِتَوْحِيدِهِ، وَلِنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَنْ نَعْبُدَ اللهَ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ"[١].

❊ ❊ ❊

---

١) صحيح ابن خزيمة، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ ذِكْرِ الْبَيَانِ أَنَّ فَرْضَ الزَّكَاةِ كَانَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، حديث رقم: ٢٢٦٠ .

معجزة الإسراء والمعراج
(دروس وعبر)

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(١)، وأَشهدُ أن لَّا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، وبعد :

فقد كانت رحلة الإسراء والمعراج تكريمًـا إلهيًّا لنبينا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وجبرًا لخاطره ، ومواساة لقلبه ، وتسرية لنفسه ، بعدما تحمل أذى قومه وإعراضهم عن دعوته النبيلة ورسالته الكاملة، وبعدما فقد زوجَه الحبيب المؤنس، وعمَّه الشَّهم النبيل ، فاختصه الله (عزَّ وجلَّ) بهذه المعجزة العظيمة، حيث طوى الله سبحانه لنبيه (صلى الله عليه وسلم) الزمان والمكان؛ ليطلعه على حقائق غيبية وأسرار كونية بقدرته سبحانه المطلقة التي لا يحدها حد ، ولا يتصورها عقل ، حيث يقول الحق سبحانه : ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾(٢).

والمتدبر في تلك المعجزة الإلهية يجدها حافلة بالدروس والعبر ، وأول ما يطالعنا منها : درس الفرج بعد الشدة ، ومعية الله لعباده المؤمنين ، وضرورة الصبر وعدم اليأس مهما يكن أمر هذه الشدة ، فإذا ضاق الأمر اتسع ، ومن كان مع الله كان الله معه ، فالأمر أمره ، والحكم حكمه ، والكون كله قبضته، ولن

---

١) الإسراء: ١.

٢) النجم: ١٨.

يغلب عُسْرٌ يُسْرَيْنِ ، إذ يقول الحق سبحانه: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[1].

ومنها: علو شأن العبودية لله (عزَّ وجلَّ)، وسمو منزلتها ، حيث وصف الله سبحانه وتعالى بها نبيه (صلى الله عليه وسلم) في مقام التكريم والإجلال ، يقول (تبارك وتعالى) : ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾[3].

ومنها: إبراز مكانة المسجد الحرام والمسجد الأقصى ، حيث يقول تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[4]، في ربط عظيم بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى؛ لتظل العلاقة بينهما قائمة في عقول وقلوب المسلمين إلى أن يرث الله (عزَّ وجلَّ) الأرض ومن عليها ، فمن المسجد الحرام كان إسراء سيدنا رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وإلى المسجد الأقصى كان إسراؤه ، ومنه كان معراجه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إلى السماوات العلا، ثم إلى سدرة المنتهى.

ومن هذه الدروس والعبر كذلك : إكرام الله (عزَّ وجلَّ) نبيه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بالآيات الكبرى ، حيث كان الإسراء والمعراج في ليلة واحدة ، كما سخر

---

١) الشرح: ٥،٦.

٢) الإسراء: ١.

٣) النجم: ١٠.

٤) الإسراء: ١.

الحق سبحانه لنبيه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) البراق لينقله في رحلته المباركة ، وأكرمه بلقاء الأنبياء والمرسلين ، حين أحياهم الحق سبحانه فَأَمَّهُم نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فصلوا خلفه في المسجد الأقصى ، والتقى بمن التقى بهم في السماوات العلا، فرحبوا به جميعًا ، ودعوا له بخير؛ في دلالة واضحة على أن الأنبياء والمرسلين جميعًا أصحاب رسالة واحدة في الأصول والعقائد ، والقيم والأخلاق حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ"(١).

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

من أهم دروس تلك الرحلة المباركة: بيان منزلة الصلاة وأهميتها في حياة المسلمين، فقد اختصها الله (عزَّ وجلَّ) بأن فرضها على الأمة المحمدية في هذه الليلة المباركة ، في السماء بلا واسطة ؛ دلالة على أن الصلاة معراج المؤمنين إلى رب العالمين ، تحسن بها أخلاقهم ، وترتقي قلوبهم، وتسمو ببركتها نفوسهم، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾(٢).

---

١) متفق عليه: صحيح البخاري ، كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ ، بَابُ قَوْلِ الله {وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا}[مريم: ١٦]، حديث رقم : ٣٤٤٣، واللفظ له ، وصحيح مسلم ، كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ فَضَائِلِ عِيسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، حديث رقم: ٢٣٦٥.

٢) العنكبوت: ٤٥.

ولا يخفى أن الأخذ بالأسباب من أهم دروس تلك الرحلة المباركة ، وأنه لا يتعارض مع حقيقة التوكل على الله (عزَّ وجلَّ)، بل هو مفتاح التوكل الصحيح ، فقد كان الحق سبحانه قادرًا على أن يسري بنبيه (صلى الله عليه وسلم) دون وسيلة، فهو سبحانه القائل: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1]، ولكنه سبحانه سخر لنبيه (صلى الله عليه وسلم) البراق ليكون وسيلة انتقاله في رحلته، وعندما وصل النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى بيت المقدس ربط البراق الذي سخره الله تعالى له؛ تعليمًا للأمة بضرورة الأخذ بالأسباب، فقال: "فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ"[2]، ولما سأل أعرابي عن ناقته، وقال: يَا رَسُولَ الله أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ، أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ: "اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ" [3].

* * *

---

1) يس : ٨٢.

2) صحيح مسلم ، كِتَابُ الْإِيمَان ، بَابُ الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِلَى السَّمَاوَاتِ، وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ ، حديث رقم: ٢٥٩.

3) سنن الترمذي ، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ، بابٌ منه ، حديث رقم: ٢٥١٧.

الصوم ومكارم الأخلاق

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾(1)، وأَشهدُ أن لَّا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أَنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إِلَى يومِ الدِّينِ ، وبعد:

فإن شهر رمضان الفضيل موسم النفحات الربانية والعطايا الإلهية ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ لِرَبِّكُمْ (عزَّ وجلَّ) فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ، فَتَعَرَّضُوا لَهَا ، لَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ تُصِيبَهُ مِنْهَا نَفْحَةٌ لا يَشْقَى بَعْدَهَا أبدًا"(2)، فهو الذي قال فيه الله (جل وعلا): ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾(3)، وقال في حقه نبينا (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"(4)، وقال (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ

---

1) آل عمران: ١٣٣، ١٣٤.

2) المعجم الأوسط للطبراني، ٣/ ١٨٠، حديث رقم: ٢٨٥٦.

3) البقرة: ١٨٥.

4) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب : صوم رمضان احتسابًا من الإيمان ، حديث رقم: ٣٨، وصحيح مسلم ، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا ، بَابُ التَّرْغِيبِ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ ، وَهُوَ التَّرَاوِيحُ، حديث رقم: ٧٦٠.

ذَنْبِهِ"[1]، وقال (عليه الصلاة والسلام) : " مَن قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا واحْتِسَابًا، غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ"[2].

والصوم مدرسة مكارم الأخلاق والقيم ، فالعبادات لا تؤتي ثمرتها الحقيقية إلا إذا هذَّبت وقوَّمت سلوك صاحبها، فمن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له، ومن لم ينهه حجه عن الفسوق والعصيان فلا حج له ، ومن لم ينهه صيامه عن سيئ الأخلاق من الكذب والغش والغدر والخيانة ، والاحتكار وأكل الحرام واستغلال أزمات الناس؛ فلا صيام له، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[3]، ويقول سبحانه: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾[4]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ "[5]، ويقول (صلى الله عليه

---

١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: تطوع قيام رمضان من الإيمان ،حديث رقم: ٣٧، وصحيح مسلم، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ التَّرْغِيبِ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ، وَهُوَ التَّرَاوِيحُ، حديث رقم: ٧٥٩ .

٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب فضل ليلة القدر، باب فضل ليلة القدر، حديث رقم: ٢٠١٤ ، وصحيح مسلم، ، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ التَّرْغِيبِ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ، وَهُوَ التَّرَاوِيحُ، حديث رقم: ٧٦٠.

٣) العنكبوت: ٤٥.

٤) البقرة: ١٩٧.

٥) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور، والعمل به في الصوم، حديث رقم: ١٩٠٣.

وسلم): " رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ "(١).

وإذا كان الحق (سبحانه وتعالى) قد ذكر في كتابه الكريم أن غاية الصوم هي التقوى حيث يقول الحق سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢) فإن التقوى قيمة جامعة لخصال الخير ؛ فقد جاءت في القرآن الكريم مقترنةً بقيم إيمانية وأخلاقية متنوعة، حيث يقول الحق سبحانه : ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾(٣).

لذلك فإن الصائم الحق متجمل بمكارم الصبر والعفو والصفح ، وقد وصف نبينا (صلى الله عليه وسلم) شهر رمضان بشهر الصبر ، حيث يقول (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):"صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ وَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ؛ صَوْمُ الدَّهْرِ"(٤)، فجدير بالصائم أن يكظمَ غيظه ، ويعفوَ عمنْ ظلمه ، ويعطيَ من حرمه ، ويحسنَ

---

١) السنن الكبرى للنسائي ، كِتَابُ الصِّيَامِ ، باب مَا يُنْهَى عَنْهُ الصَّائِمُ مِنْ قَوْلِ الزُّورِ وَالْغِيبَةِ ، حديث رقم : ٣٢٣٦.

٢) البقرة: ١٨٣.

٣) البقرة: ١٧٧.

٤) مسند أحمد، ٣٥/ ٢٩٢، حديث رقم : ٢١٣٦٤.

إلى من أساء إليه ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلا يَرْفُثْ يَوْمَئِذٍ ، وَلَا يَصْخَبْ ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ"[1]، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : "الصِّيامُ جُنَّة ، فَلا يَرْفُثْ وَلا يَجْهَلْ "[2]، فالصوم وقاية من سيئ الأخلاق ورديئها ، وهو وقاية من عذاب الله يوم القيامة ، ولا يكون الصوم مبررًا لضيق الصدر أو إساءة الخلق ، وإنما يقوِّي الصومُ العزيمةَ ، ويضبط السلوكَ ، ويقوِّم الأخلاقَ .

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا شك أن الصوم يجدد في الإنسان مشاعر المواساة والإحسان والتكافل والتراحم، فتنطلق النفوس نحو الكرم والجود وإطعام الطعام ، حيث يقول الحق سبحانه في وصف عباده الأبرار: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا * وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا * فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا * وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ﴾[3]، وقد سئل نبينا (صلى الله عليه وسلم):

---

١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الصوم ، باب: هل يقول إني صائم إذا شتم ، حديث رقم: ١٩٠٤ ، واللفظ له ، وصحيح مسلم ، كِتَاب الصِّيَامِ، بَابُ فَضْلِ الصِّيَامِ ، حديث رقم: ١١٥١.

٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب فضل الصوم ، حديث رقم: ١٨٩٤، واللفظ له، وصحيح مسلم، كِتَاب الصِّيَامِ، بَابُ حِفْظِ اللِّسَانِ لِلصَّائِمِ، حديث رقم: ١١٥١.

٣) الإنسان: ٧-١٢.

أيُّ الإسْلَامِ خَيْرٌ؟ قالَ (صلى الله عليه وسلم): "تُطْعِمُ الطَّعَامَ ، وتَقْرَأُ السَّلَامَ علَى مَن عَرَفْتَ ومَن لَمْ تَعْرِفْ"(١).

وإذا كان أجر التكافل والتراحم ، والجود ، وإطعام الطعام عظيمًا في سائر الأوقات ، فإنه في شهر رمضان أعظم أجرًا ، وأفضل مثوبة ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا "(٢)، ويقول سيدنا عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) :"كَانَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَجْوَدَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ ، فَلَرَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ"(٣).

فما أجمل أن ندرك حقيقة الصوم، فنتحلى بمكارم الأخلاق الفاضلة والمثل العليا السامية، يقول سيدنا جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما): " إِذَا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمْعُك وَبَصَرُك وَلِسَانُك عَنِ الْكَذِبِ وَالْمَأْثَمِ، وَدَعْ أَذَى الخَادِمِ ، وَلْيَكُنْ عَلَيْك وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ يَوْمَ صِيَامِكَ، وَلا تَجْعَلْ يَوْمَ فِطْرِكَ وَيَوْمَ صِيَامِكَ سَوَاءً"(٤).

---

١) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب إطعام الطعام من الإسلام ، حديث رقم : ١٢، وصحيح مسلم ، كِتَابُ الْإِيمَان ، بَابُ بَيَانِ تَفَاضُلِ الْإِسْلَامِ ، وَأَيُّ أُمُورِهِ أَفْضَلُ ، حديث رقم: ٦٣.

٢) سنن الترمذي، أَبْوَابُ الصَّوْمِ عَنْ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا، حديث رقم: ٨٠٧.

٣) متفق عليه: صحيح البخاري، باب بدء الوحي ، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم؟) ، حديث رقم: ٦ ، وصحيح مسلم، كتاب الْفَضَائِلِ، بَاب كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَجْوَدَ النَّاسِ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ، حديث رقم: ٢٣٠٨.

٤) مصنف ابن أبي شيبة، ٦/ ١٠٠، حديث رقم: ٨٩٧٣.

الصوم وأثره في تربية النفس

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ * وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ * أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[1]، وأَشهدُ أنْ لَّا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، وبعد:

فإن الصوم مدرسة تربية النفس ، وتزكية القلوب، وضبط السلوك، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[2]، فالصوم يربي النفس على إخلاص العمل لله (عزَّ وجلَّ)، ومراقبته سبحانه في السر والعلن ؛ خوفًا من الله (جل وعلا)، وحبًّا له سبحانه ، حيث يقول الحق سبحانه في الحديث القدسي: " كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعمِائَة ضِعْفٍ ، قَالَ اللهُ (عزَّ وجلَّ): إِلَّا الصَّوْمَ ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي"[3]، فالصيام سر لا يطلع عليه إلا الله (جل وعلا)؛ ولذلك كان الجزاء عليه من الله تعالى بلا واسطة .

١) الملك: ١٢-١٤.

٢) البقرة: ١٨٣.

٣) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب فضل الصوم، حديث رقم: ١٨٩٤ ، وصحيح مسلم، كِتَاب الصِّيَامِ، بَابُ فَضْلِ الصِّيَامِ، حديث رقم: ١١٥١، واللفظ له .

والصائم الحق يعلم يقينًا أن الله سبحانه مُطَّلِع عليه في كل زمان وفي أي مكان، يسمع أقواله، ويرى أفعاله، ويعلم أحواله، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[2]، ويقول (جل وعلا): ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[3]، ويقول تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[4]، ويقول سبحانه: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾[5]؛ لذلك فهو يخلص العمل لله تعالى وحده، حيث يقول سبحانه: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[6].

فالصائم الحق الذي يراقب ربه في صيامه وصلاته وسائر عباداته، يراقب ربه أيضًا تمام المراقبة في إتقان عمله، وتجويد إنتاجه، وسائر تصرفاته؛ مستحضرًا قول

---

١) يونس: ٦١.

٢) المجادلة: ٧.

٣) النساء: ١.

٤) غافر: ١٩.

٥) طه: ٧.

٦) الكهف: ١١٠.

ربه (جل وعلا): ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ * كِرَامٗا كَٰتِبِينَ * يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا * ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾[2]، وقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ الله يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ"[3]، وقد قال رجل لوُهَيب بن الوَرْد عِظني، فقال له: اتَّقِ أن يكون اللهُ أهونَ الناظرين إليك![4] .

لذلك فإن مراقبته لله (جل وعلا) وحده تحجزه عن الغش بجميع صوره وأنواعه ، كما تحجزه عن تطفيف الكيل والميزان ، والاحتكار ، والمتاجرة بالأزمات ، وسائر الموبقات ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):"... وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا"[5]، ويقول (عزَّ وجلَّ): ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا﴾[6]، ويقول سبحانه: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ﴾[7]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "الُمحْتَكِرُ مَلْعُونٌ"[8].

---

١) الانفطار: ١٠-١٢.

٢) الإسراء: ١٣، ١٤.

٣) مسند أبي يعلى الموصلي ، ٧/ ٣٤٩، حديث رقم: ٤٣٨٦.

٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٨/ ١٤٢.

٥) صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَان ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا"، حديث رقم: ١٦٤.

٦) الإسراء: ٣٥.

٧) المطففين: ١-٣.

٨) المستدرك على الصحيحين للحاكم ، ٢/ ١٤، حديث رقم: ٢١٦٤.

كما أن في الصوم إمساكًا لزمام النفس؛ وكبحًا لجماحها ؛ حتى تصل إلى ما فيه خيرها وسعادتها، فيصوم السمع والبصر واللسان ، وسائر الجوارح عن كل ما حرم الله (عزَّ وجلَّ)، ويصوم القلب عن الالتفات لغير النافع للنفس والوطن والمجتمع في الدنيا والآخرة.

*　　*　　*

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الصوم يربي النفس على مراقبة الله (عزَّ وجلَّ) الذي لا تخفى عليه خافية، ولا يغيب عنه سر ولا علانية، حتى وإن غابت رقابة البشر، حيث يقول سبحانه: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾[2]، وهذه التربية هي التي تعين صاحبها على تحمل الصعاب ومواجهة الأعداء وبذل النفس رخيصة في سبيل الله (عزَّ وجلَّ)، بل استعذاب الشهادة في سبيله، فالإنسان لا يستطيع أن يواجه عدوًا وعدوه الذي بين جنبيه متحكم فيه متغلب عليه.

لقد كان رمضان شهر النصر، ففيه كان يوم بدر يوم الفرقان، وفيه فتح مكة، وفيه كانت انتصارات العاشر من رمضان لقواتنا المسلحة الباسلة، نسأل الله (عزَّ

---

١) العلق: ١٤.

٢) الحديد: ٤.

وجلَّ) أن يحفظ مصر وأهلها وجيشها وشرطتها من كل سوء ومكروه ، وأن يوفقنا لخدمة ديننا ووطننا ، وأن يهدينا إلى سواء السبيل.

*　　　*　　　*

السكينة والطمأنينة وفضائل العشر

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[1]، وأَشهدُ أنْ لَّا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، وبعد:

فإن السكينة والطّمأنينة نور ويقين ووقار في القلب ، ينزله الله تعالى في قلوب عباده المؤمنين ، فلا يثقلها القلق ، ولا تزلزلها الفتن ، ولا توهنها المحن ، بل يزداد أصحابها إيمانًا وقوةً وثباتًا على الحق ، حيث يقول الحق سبحانه : ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2].

وقد اعتنى القرآن الكريم بالسّكينة والطمأنينة عناية بالغة، حيث جاءت تلك المعاني الإيمانية في سياق الحديث عن أوقات الشدائد والمخاوف التي تفزع لها الأفئدة، حينها تتنزل السكينة والطمأنينة في قلوب المتقين ، تبشرهم بمعية الله ونصره وتأييده ، يقول الحق سبحانه في شأن يوم بدر: ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ * إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن

---

١) الرعد: ٢٨.

٢) التوبة: ٤٠ .

يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[1]، ويقول سبحانه في يوم حنين: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2].

وكذلك يوم الحديبية حين رأى بعض الصحابة (رضي الله عنهم) أن شروط الصلح مجحفة بهم ، واشتد ذلك عليهم ، فأنزل الحق سبحانه السكينة والطمأنينة على قلوبهم بردًا وسلامًا وتثبيتًا لهم ، حيث جاء لفظ "السكينة" في ثلاث آيات من الكتاب العزيز تختص بذلك اليوم ، يقول سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[3]، ويقول سبحانه: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[4]، ويقول تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ

---

١) آل عمران: ١٢٣ – ١٢٦.

٢) التوبة: ٢٥، ٢٦.

٣) الفتح: ٤.

٤) الفتح: ١٨.

عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾[1].

ولا شك أن ذكر الله (عزَّ وجلَّ) واستحضار عظمته ومعيته سبب لتحقق السكينة والطمأنينة ، فبه تنشرح الصدور ، وتحيا القلوب ، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[2]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ"[3]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله ، يَتْلُونَ كِتَابَ الله ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ"[4].

ونحن مأمورون بالسكينة والطمأنينة في عباداتنا جميعِها ، فإنه متى نزلت الطمأنينة في القلب ؛ سكنت لها الجوارح ، فحلَّ فيها الخشوع ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم):"إِذَا سَمِعْتُمُ الإِقَامَةَ ، فَامْشُوا إِلَى الصَّلاَةِ وَعَلَيْكُمْ

---

1) الفتح: ٢٦.

2) الرعد: ٢٨.

3) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَابُ الدَّعَوَاتِ، بَابُ فَضْلِ ذِكْرِ الله (عَزَّ وَجَلَّ)، حديث رقم: ٦٤٠٧، واللفظ له، وصحيح مسلم، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ اسْتِحْبَابِ صَلَاةِ النَّافِلَةِ فِي بَيْتِهِ، وَجَوَازِهَا فِي الْمَسْجِدِ، حديث رقم: ٧٧٩ .

4) صحيح مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ، حديث رقم: ٢٦٩٩.

بِالسَّكِينَةِ وَالوَقَارِ، وَلاَ تُسْرِعُوا، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا"[1]، ويقول (صلى الله عليه وسلم) في شأن الحج: "أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ؛ فَإِنَّ البِرَّ لَيْسَ بِالإِيضَاعِ"[2]، يعني: الإسراع ، ورَأَى نبينا (صلى الله عليه وسلم) جِنَازَةً يُسْرِعُونَ بِهَا، فَقَالَ: "لِتَكُنْ عَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ" [3].

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

مما لا شك فيه أن من ذاق طعم الطمأنينة والسكينة في رمضان حين أحسن صلته بالله (عزَّ وجلَّ) وتقرب إليه بصنوف العبادات والصالحات، فإنه حريٌّ به أن يجتهد في العشر الأواخر من شهر رمضان؛ اغتنامًا لفضلها وبركتها، وإتمامًا لراحة قلبه وسعادته، حيث كان نبينا (صلى الله عليه وسلم) يخص تلك العشر بمزيد من الاجتهاد في العبادة، تقول السيدة عائشة (رضي الله عنها): " كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِذَا دَخَلَ العَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ"[4]، وتقول (رضي الله عنها) : " كَانَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

---

١) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب لا يسعى إلى الصلاة ، وليأت بالسكينة والوقار، حديث رقم: ٦٣٦ ، واللفظ له، وصحيح مسلم ، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ، بَابُ اسْتِحْبَابِ إِتْيَانِ الصَّلَاةِ بِوَقَارٍ وَسَكِينَةٍ ، وَالنَّهْيِ عَنْ إِتْيَانِهَا سَعْيًا ، حديث رقم: ٦٠٢ .

٢) صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بالسكينة عند الإفاضة، وإشارته إليهم بالسوط، حديث رقم: ١٦٧١ .

٣) سنن ابن ماجه، كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي شُهُودِ الْجَنَائِزِ، حديث رقم: ١٤٧٩ .

٤) متفق عليه : صحيح البخاري ، كتاب فضل ليلة القدر ، باب العمل في العشر الأواخر من =

يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ "[1].

على أننا نؤكد أن التكافل والتراحم وإغناء الفقراء والمساكين من صميم العبادات ، سواء أكان ذلك بإخراج الزكاة ، أم بالإكثار من الصدقات ، أم بالمبادرة إلى إخراج زكاة الفطر والتوسعة فيها على المحتاجين ؛ وذلك حتى تسود المحبة والمودة ، ويكون المجتمع كالجسد الواحد ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"[2]، ويقول (صلى الله عليه وسلم):" مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا ، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ " [3].

* * *

= رمضان ، حديث رقم: ٢٠٢٤، واللفظ له ، وصحيح مسلم ، كِتَابُ الِاعْتِكَافِ ، بَابُ الِاجْتِهَادِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ، حديث رقم: ١١٧٤.

١) صحيح مسلم ، كِتَابُ الِاعْتِكَافِ ، بَابُ الِاجْتِهَادِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ، حديث رقم: ١١٧٥.

٢) متفق عليه: صحيح البخاري ، كِتَابُ الأَدَبِ ، بَابُ رَحْمَةِ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ ، حديث رقم: ٦٠١١ ، وصحيح مسلم ، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ ، بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، حديث رقم: ٢٥٨٦، واللفظ له.

٣) صحيح مسلم ، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ ، بَابُ فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ ، حديث رقم: ٢٦٩٩.

كيف نستقبل ليلة القدر

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾[1]، وأَشهدُ أن لَّا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، وبعد:

فإن من أعظم ما اختص الله (عزَّ وجلَّ) به الأمة المحمدية ليلة القدر ، فهي تاج الليالي ، ودُرَّة الأزمان ، تغمر الكون بضيائها ، وتعمر القلوب بحبها ، وتتفرد بالأجر العظيم والخير العميم ، حيث جعلها الحق سبحانه أفضل من ألف شهر ، عبادةً وقُربًا ، وثوابًا وأجرًا ، يقول الحق سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ * وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ * لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ * تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ *سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾[2].

وليلة القدر هي ليلة الشرف والعز والكرامة، فقد أنزل الله تعالى فيها خير كتبه على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد (صلوات ربي وسلامه عليه)، يقول سيدنا عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) :" أُنْزِل الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، ثُمَّ نَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَلَى رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) نُجُومًا – أي: مفرقًا– فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً"[3].

---

١) الدخان: ٣.

٢) القدر: ١–٥.

٣) تفسير البغوي ، ١/ ١٩٨.

وهي الليلة المباركة ، التي يقدِّر الله تعالى فيها أعمال العباد وآجالهم وأرزاقهم، يقول سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾(١)، ومن مظاهر بركتها أن الله (عزَّ وجلَّ) يغفر لمن قامها إيمانًا واحتسابًا ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"(٢)، لذلك فإن المحروم هو من حُرم بركتها وفضلها، يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : " إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومٌ " (٣).

ومن بركات ليلة القدر نزول الملائكة فيها وفي مقدمتهم الأمين جبريل (عليه السلام)، لتمتلئ الأرض نورًا وسكينة ، حيث يقول سبحانه : ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾(٤)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) :" إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ الْحَصَى"(٥).

وهي ليلة السلام والأمان من بدايتها حتى مطلع الفجر ، يقول سبحانه: ﴿سَلَٰمٌ

---

١) الدخان: ٣-٥.

٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب فضل ليلة القدر، باب فضل ليلة القدر، حديث رقم: ٢٠١٤ ، وصحيح مسلم، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ التَّرْغِيبِ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ، وَهُوَ التَّرَاوِيحُ، حديث رقم: ٧٦٠ .

٣) سنن ابن ماجه، كِتَابُ الصِّيَامِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ شَهْرِ رَمَضَانَ، حديث رقم: ١٦٤٤ .

٤) القدر: ٤ .

٥) مسند أحمد، ١٦/ ٤٢٧، حديث رقم: ١٠٧٣٤ .

﴿هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾[1]، وفي ذلك دعوة لنشر السلام في الأرض في هذه الليلة المباركة وغيرها من الليالي ، حتى يعم الخير ، ويتحقق الاستقرار ، والإخاء بين بني الإنسان.

وليلة القدر هي ليلة العفو الإلهي ، فعن أم المؤمنين عَائِشَةَ (رضي الله عنها) أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ الله ، أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ، مَا أَدْعُو؟ قَالَ: "تَقُولِينَ: اللهمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي"[2].

وإذا كانت ليلة القدر هي ليلة العفو الإلهي ، فعلينا أن نُعدّ أنفسنا لها بالحرص على قيام الليل ، وقراءة القرآن ، والذكر ، والدعاء ، وأن نستقبلها بالعفو والصفح والتسامح ، وتجاوز الخلافات ؛ فإن الشقاق يجلب الشرور ويمحق البركات ، فقد خرج نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يُخْبِرُ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ ، فَتَلاَحَى رَجُلاَنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (اختلفا وتنازعا)، فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم) : "إِنِّي خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ القَدْرِ ، وَإِنَّهُ تَلاَحَى فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ ، فَرُفِعَتْ ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ"[3]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "ألا أخبرُكُم بأفضلَ من دَرجةِ الصِّيامِ والصَّلاةِ والصَّدَقةِ؟ قالوا : بلَى ، قال : صلاحُ ذاتِ البينِ ؛ فإنَّ فسادَ ذاتِ البينِ هيَ الحالِقةُ"[4]، ويقول (عليه الصلاة والسلام): "دَبَّ إِلَيْكُمْ

---

١) القدر: ٥.

٢) سنن ابن ماجه ، كِتَابُ الدُّعَاءِ ، بَابُ الدُّعَاءِ بِالْعَفْوِ وَالْعَافِيَةِ ، حديث رقم : ٣٨٥٠.

٣) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر ، حديث رقم: ٤٩.

٤) سنن الترمذي ، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ ، حديث رقم: ٢٥٠٩.

دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الحَسَدُ وَالبَغْضَاءُ ، هِيَ الحَالِقَةُ ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا ، أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَلِكَ لَكُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ "[١].

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

مما لا شك فيه أن الجزاء من جنس العمل ، فإذا كنا نتعرض لرحمة الله تعالى في هذه الليالي المباركة ، فعلينا أن نتراحم فيما بيننا ، فمن لا يَرحم لا يُرحَم ، والراحمون يرحمهم الرحمن ، والتراحم سلوك وعمل ؛ يستوجب التعاون والتكافل ، وأن يأخذ قوينا بيد ضعيفنا ، وغنينا بيد فقيرنا ، موقنين بأن ما أنفق من خير فإن الله (عزَّ وجلَّ) سيخلفه ويضاعفه ، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٢].

فما أحوجنا إلى اغتنام ما بقي من شهر رمضان عبادة واجتهادًا ونفعًا للناس؛ التماسًا لليلة القدر ، وطمعًا في ثوابها ؛ فإنها تُكسب من أحياها قدرًا عظيمًا ، وتزيده شرفًا عند الله تعالى ، وما أجمل أن نتخذ من تلك الليلة المباركة عهدًا جديدًا لتجديد التوبة ولزوم الاستغفار ، وتقويم النفس ، وحملها على فعل

---

١) سنن الترمذي ، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ ، بابٌ منه ، حديث رقم: ٢٥١٠.

٢) البقرة : ٢٦١.

الخيرات ، وترك المنكرات ، حيث يقول الحق سبحانه : ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾(١)، ويقول سبحانه : ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾(٢).

* * *

١) الزمر: ٥٣.

٢) الحديد: ٢١.

الدروس المستفادة من خطبة حجة الوداع

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[1]، وأَشهدُ أنْ لَّا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، وبعد:

فإن خطبة حجة الوداع تمثِّل جانبًا من جوامع كلم نبينا (صلى الله عليه وسلم)، فقد جمع (صلى الله عليه وسلم) في تلك الخطبة القيم الإيمانية والإنسانية العظيمة في إيجاز بليغ ، ورسم المنهج القويم الذي تسعد به البشرية كلها.

وإن أول ما طالعَنا به نبينا الكريم (صلى الله عليه وسلم) في تلك الخطبة الجامعة تقرير حرمة الدماء والأموال والأعراض ، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم) في خطبته : "إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَـذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا"[2]، فكل الدماء معصومة ، وكل الأموال محفوظة، وكل الأعراض مصانة ، حيث يقول الحق سبحانه في شأن حرمة الدماء: ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾[3]، وجعل الله (عزَّ وجلَّ) قتل نفسٍ واحدة بغير حق بمثابة قتل للبشرية كلها ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٍ

---

١) المائدة : ٣.

٢) صحيح مسلم، كتاب الحج، بَابُ حَجَّةِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، حديث رقم:١٢١٨ .

٣) الإسراء: ٣٣.

فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ﴾[1]، كما أكد نبينا (صلى الله عليه وسلم) على حرمة الدماء ، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رَضِيَ الله عَنْهُمَا)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا"[2].

وفي تعظيم حرمة الأموال الخاصة منها والعامة ، يقول الحق سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾[3]، ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾[4]، وعَنْ خَوْلَةَ الأَنْصارِيَّةِ (رَضِيَ الله عَنْهَا)، قَالَتْ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، يَقُولُ : "إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ الله بِغَيْرِ حَقٍّ ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ"[5].

وفي شأن حرمة الأعراض ، وتحريم النيل منها بأي صورة من الصور ، قولًا، أو كتابةً ، فعلًا ، أو مشاركة للفحش بأي وسيلة من الوسائل ، يقول الحق سبحانه: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا﴾[6]، ويقول سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا

---

١) المائدة: ٣٢.

٢) صحيح البخاري ، كِتَابُ الدِّيَاتِ ، بَابُ قَوْلِ الله تَعَالَى :{وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا}[النساء: ٩٣]، حديث رقم: ٦٨٦٢.

٣) النساء: ٢٩.

٤) البقرة: ١٨٨.

٥) صحيح البخاري ، كِتَابُ فَرْضِ الخُمُسِ ، بَابُ قَوْلِ الله تَعَالَى:{فَأَنَّ لله خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ}[الأنفال: ٤١]، حديث رقم: ٣١١٨.

٦) الإسراء: ٣٢.

مُّبِينًا﴾[1]، كما جعل نبينا (صلى الله عليه وسلم) قذف المحصنات من الكبائر، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) ، عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، قَالَ: "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ"، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: "الشِّرْكُ بِالله، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلَّا بِالحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ"[2].

ومن أهم الدروس التي حوتها خطبة حجة الوداع: إقرار مبدأ المساواة بين الناس جميعًا، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى ، أَبَلَّغْتُ؟" ، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ الله، ثُمَّ قَالَ: "أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟"، قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ: "أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟" ، قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: "أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟"، قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: "فَإِنَّ الله قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ" - قَالَ: وَلَا أَدْرِي قَالَ: أَوْ أَعْرَاضَكُمْ، أَمْ لَا - كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَبَلَّغْتُ "، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ الله، قَالَ: "لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ"[3]؛ فالناس على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأعراقهم متساوون في الحقوق والواجبات، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾[4]، ويقول (صلى الله

---

1) الأحزاب: ٥٨.

2) متفق عليه، صحيح البخاري ، كِتَابُ الحُدُودِ ، بَابُ رَمْيِ المُحْصَنَاتِ ، حديث رقم: ٦٨٥٧، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان ، باب بيان الكبائر وأكبرها، حديث رقم: ١٤٥.

3) مسند أحمد،٣٨/ ٤٧٤،حديث رقم:٢٣٤٨٩.

4) النساء: ١.

عليه وسلم): "كُلُّكُمْ لِآدَمَ ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ"[1]، ومبدأ المساواة مبدأ شرعي، وقيمة إنسانية تحقق الاستقرار والتوازن في المجتمع؛ ولا أدل على ذلك من قيامه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حينما مَرَّتْ بِهِ جَنَازَةٌ، فَقِيلَ له: إِنَّهُ يَهُودِيٌّ، فَقَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "أَلَيْسَتْ نَفْسًا؟"[2].

وقد نهت الشريعة المطهرة عن كل معاني العصبية العمياء، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) ، عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، قَالَ: "لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا إِنَّمَا هُمْ فَحْمُ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى الله مِنَ الجُعَلِ الَّذِي يُدَهْدِهُ الخِرَاءَ بِأَنْفِهِ ، إِنَّ الله أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالآبَاءِ، إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ"[3].

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

ومن أهم الدروس التي اشتملت عليها خطبة الوداع التنويه بقدر المرأة ومكانتها، والتأكيد على حقها وكرامتها، حيث قال (صلى الله عليه وسلم) في خطبته: "اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا"[4]، وكلمة (خيرًا) جامعة ترشد إلى وجوب

---

١) أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، لأبي الوليد المكي المعروف بالأزرقي ، ٢/ ١٢١، ط دار الأندلس للنشر ، بيروت.

٢) متفق عليه، صحيح البخاري،كِتَابُ الجَنَائِزِ، بَابُ مَنْ قَامَ لِجَنَازَةِ يَهُودِيٍّ، حديث رقم: ١٣١٢، وصحيح مسلم،كتاب الجنائز، باب القيام للجنازة، حديث رقم: ٩٦١.

٣) سنن الترمذي، أَبْوَابُ المَنَاقِبِ ،بَابٌ فِي ثَقِيفٍ وَبَنِي حَنِيفَةَ، باب بعده، حديث رقم: ٣٩٥٥.

٤) صحيح مسلم، كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء، حديث رقم: ١٤٦٨.

التحلي بأسمى الأخلاق النبيلة في تعامل الرجل مع المرأة، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[2]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ"[3].

وقد أكدت تلك الخطبة الجامعة على ضرورة الالتزام بمنهج الله، وإعطاء كل وارث حقه، وأنه لا وصية لوارث، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ الله قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ فَلَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ"[4].

فما أحوج البشرية كلها إلى الاستفادة من دروس خطبة حجة الوداع، التي اشتملت على المبادئ الإنسانية السامية، والتعاليم الإيمانية الراقية؛ حتى تستقر الأمم والمجتمعات.

* * *

---

١) النساء: ١٩.

٢) البقرة: ٢٢٨.

٣) سنن أبي داود، كِتَاب الطَّهَارَةِ، بَابٌ فِي الرَّجُلِ يَجِدُ الْبِلَّةَ فِي مَنَامِهِ، حديث رقم: ٢٣٦.

٤) سنن أبي داود، كِتَاب الْوَصَايَا، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْوَصِيَّةِ لِلْوَارِثِ، حديث رقم: ٢٨٧٠.

خطبة عيد الفطر المبارك

الحمد لله رب العالمين، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلًا ، وأَشهدُ أنْ لَّا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إِلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فمن فضل الله تعالى على الأمة الإسلامية أن جعل أفراحَها متصلةً وسرورَها متتابعًا، فما أن ودعْنا شهر البركات والنفحات حتى أنعم الله (عزَّ وجلَّ) علينا بالبهجة والمسرات بحلول عيد الفطر المبارك، فتتآلف القلوب، وتتصافح الوجوه، ويتألق البِشر في عيون الناس، قال الحافظُ ابنُ حجرٍ رحمه الله: إِظْهَار السُّرُورِ فِي الْأَعْيَادِ مِنْ شِعَارِ الدِّينِ.

والعيد موسمٌ للفرح بنعمة الله تعالى بإتمام الصيام، والتوفيق للقيام، والصدقات وسائر الطاعات، حيث يقول الحق سبحانه:﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[١]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا : إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ" [٢]، فهو يوم الجائزة العاجلة، وكلنا أمل في إكرام الله (عزَّ وجلَّ) لنا بالفرحة الآجلة يوم القيامة، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي

١) يونس: ٥٨.

٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب: هل يقول إني صائم إذا شتم، حديث رقم: ١٩٠٤ ، واللفظ له، وصحيح مسلم، كِتَاب الصِّيَامِ، بَابُ فَضْلِ الصِّيَامِ، حديث رقم: ١١٥١.

فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ"، قَالَ (صلى الله عليه وسلم): "فَيُشَفَّعَانِ" [1]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ فِي الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ" [2].

ولا شك أن أيام العيد فرصة لتقوية الروابط الاجتماعية بصِلَةِ الرحمِ، وتبادل الزيارات، ونشر المودة والرحمة، وترسيخ الأخوَّة، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [3]، ويقول سبحانه: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [4]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ" [5]، و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله

---

١) مسند أحمد، ١١/ ١٩٩، حديث رقم: ٦٦٢٦.

٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب: الريان للصائمين ،حديث رقم: ١٨٩٦، واللفظ له، وصحيح مسلم، كِتَاب الصِّيَامِ، بَابُ فَضْلِ الصِّيَامِ، حديث رقم: ١١٥٢.

٣) النساء: ١.

٤) الروم: ٣٨.

٥) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف، وخدمته إياه بنفسه، حديث رقم: ٦١٣٨، واللفظ له، وصحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَان ، بَابُ الْحَثِّ عَلَى إِكْرَامِ الْجَارِ وَالضَّيْفِ، وَلُزُومِ الصَّمْتِ إِلَّا عَنِ الْخَيْرِ وَكَوْنِ ذَلِكَ كُلِّهِ مِنَ الْإِيمَانِ، حديث رقم: ٧٤.

عليه وسلم): " أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عزَّ وجلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ " [1].

كما أن العيد الحقيقي شعورٌ بالضعفاء والمحتاجين، ويتجسد ذلك الشعور في إغنائهم عن ذلِّ السؤال في هذا اليوم؛ حتى تشملَ الفرحةُ كلَّ بيتٍ، وتعمَّ البهجةُ كلَّ أسرة، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "أَغْنُوهُمْ فِي هَذَا الْيَوْمِ"[2]، ويقول (عليه الصلاة والسلام): "صنائعُ المعروفِ تقي مصارعَ السوءِ والآفاتِ والهلكاتِ، وأهلُ المعروفِ في الدنيا همْ أهلُ المعروفِ في الآخرةِ"[3].

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن شكر الله تعالى على آلائه يقتضي منَّا المداومة والمواظبة على الطاعات والعبادات بعد رمضان ، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[4] ، ويقول سبحانه: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[5]، فما أجمل أن نتبع رمضان بصيام

١) صحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابٌ فِي فَضْلِ الْحُبِّ فِي اللهِ، حديث رقم: ٢٥٦٧.
٢) سنن الدار قطني، كتاب زكاة الفطر، باب منه، حديث رقم: ٢١٣٣.
٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم، كِتَابُ الْعِلْمِ، حديث رقم: ٤٢٩ .
٤) الأنعام: ١٦٢، ١٦٣.
٥) الحجر: ٩٩.

ستة أيام من شوال؛ تحقيقًا لسنة نبينا (صلى الله عليه وسلم) القائل: "مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ"[1]، والحق سبحانه إذا تقبل الطاعة من عبده وفَّقه إلى طاعة بعدها.

فما أجمل العيدَ إذا وصلْنا من قطعَنا ، وأعطيْنا من منعَنا ، وعفوْنا عمن ظلمَنا، وتجاوزنا خلافاتِنا ، وتراحمْنا فيما بيننا.

❊ ❊ ❊

---

١) صحيح مسلم، كِتَاب الصِّيَامِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ صَوْمِ سِتَّةِ أَيَّامٍ مِنْ شَوَّالٍ إِتْبَاعًا لِرَمَضَانَ ، حديث رقم: ١١٦٤.

خطبة عيد الأضحى المبارك

الحمد لله رب العالمين، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلًا، وأَشهدُ أنْ لَّا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فإن الأعياد مواسم خير وبركة، تفرح فيها النفوس، وتبتهج بها الأفئدة، وتتلاقى الوجوه والقلوب متسمةً بالسعادة الصادقة ، والبسمة الصافية ، وهذا من فضل الله (عزَّ وجلَّ) على الناس، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾[1]، وعندما قَدِمَ نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) المَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، قَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ الْفِطْرِ، وَيَوْمَ النَّحْرِ" [2].

ويوم عيد الأضحى المبارك من أيام الله (عزَّ وجلَّ) المشهودة، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "أَعْظَمُ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللهِ يَوْمُ النَّحْرِ، ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ"[3]؛ ويوم القر: هو اليوم الذي يلي يوم النحر؛ لأن النَّاس يقرون فيه بمنى بعد أن فرغوا من أعمال يوم النحر.

وفي عيد الأضحى تتجلى مظاهر الفرح والسرور؛ حيث يفرح حجاج بيت الله بأداء مناسكهم، بعد أن أتم الله عليهم نعمته بالطواف بالبيت الحرام، والسعي

---

١) يونس: ٥٨.

٢) مسند أحمد، ١٩/ ٦٥، حديث رقم:١٢٠٠٦ .

٣) مسند أحمد، ٣١/ ٤٢٧، حديث رقم: ١٩٠٧٥ .

بين الصفا والمروة ، والوقوف على صعيد عرفات حيث التعرض للبركات والرحمات ، كما يفرح المسلمون في بقاع الدنيا بذبح الأضاحي تقربًا إلى الله (عزَّ وجلَّ)، وإدخالًا للسرور على الفقراء والمحتاجين .

وكلما أهل علينا عيد الأضحى المبارك استحضرنا قصة الخليل إبراهيم (عليه السلام) مع ابنه إسماعيل (عليه السلام)، حيث تجلت أعلى درجات التضحية وصدق التسليم ، وحسن الامتثال لأمر الحق سبحانه ، بعدما رزق الله (عزَّ وجلَّ) خليله (عليه السلام) الولدَ بعد شوق وطول انتظار ، فلما بلغ معه نضرة الصبا جاء الابتلاء الأعظم ، والأمر الإلهي بذبح الوالد لولده ، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾(1)، فكان الرد الجميل من إسماعيل (عليه السلام) ﴿افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾.

ثم جاءت عطاءات الله (عزَّ وجلَّ) متتابعة ، بعد أن استسلم الولد والوالد لأمر رب العالمين ، فجاء الفداء منه سبحانه ، حيث يقول تعالى : ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾(2).

ومن هنا كانت سنة الأضحية ؛ إحياءً لذكرى الخليل وولده (عليهما السلام)؛ وتحقيقًا للمعاني الإنسانية النبيلة من التوسعة على الأهل ، وتحقيق التكافل

---

1) الصافات: ١٠١، ١٠٢.

2) الصافات: ١٠٣ – ١٠٧.

والتراحم بين أبناء المجتمع ، والتصدق على الفقراء والمساكين ، وقد ضحى النبي (صلى الله عليه وسلم) فعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه): "أَنَّ رَسُولَ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) انْكَفَأَ إِلَى كَبْشَيْنِ أَقْرَنَيْنِ أَمْلَحَيْنِ فَذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ"[١].

وقال (صلى الله عليه وسلم) في فضل الأضحية : "مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ مِنْ عَمَلٍ يَوْمَ النَّحْرِ أَحَبَّ إِلَى الله مِنْ إِهْرَاقِ الدَّمِ إِنَّهَا لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَشْعَارِهَا وَأَظْلاَفِهَا ، وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ الله بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ مِنَ الأَرْضِ فَطِيبُوا بِهَا نَفْسًا"[٢]، وعندما سأل أَصْحَابُ رَسُولِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فقالوا : يَا رَسُولَ الله مَا هَذِهِ الْأَضَاحِيُّ؟ قَالَ : "سُنَّةُ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ"، قَالُوا : فَمَا لَنَا فِيهَا يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: "بِكُلِّ شَعَرَةٍ حَسَنَةٌ"، قَالُوا: " فَالصُّوفُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: "بِكُلِّ شَعَرَةٍ مِنَ الصُّوفِ حَسَنَةٌ"[٣].

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

ما أجمل أن نجعل من شعيرة الأضحية دليلًا على عظمة الإسلام ، ومظهرًا من مظاهر رقيه وحضارته ، فنتجنب الذبح في الأماكن العامة ، ومداخل العمارات، والبيوت، والشوارع؛ مما يتسبب في أذى الناس وضررهم، حيث يقول

---

١) صحيح البخاري، كِتَابُ الأَضَاحِيِّ، بَابٌ فِي أُضْحِيَّةِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِكَبْشَيْنِ أَقْرَنَيْنِ، وَيُذْكَرُ سَمِينَيْنِ، حديث رقم:٥٥٥٤.

٢) سنن الترمذي، أَبْوَابُ الْأَضَاحِيِّ، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الأُضْحِيَّةِ، حديث رقم: ١٤٩٣.

٣) سنن ابن ماجه، كِتَابُ الْأَضَاحِيِّ ، بَابُ ثَوَابِ الْأُضْحِيَّةِ، حديث رقم: ٣١٢٧.

نبينا (صلى الله عليه وسلم): "لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضْرَارَ"[1].

على أننا نؤكد أن يوم العيد فرصة لتوطيد العلاقات الاجتماعية بالتزاور والتلاقي وصلة الأرحام ، ونشر المودة والرحمة بين الناس ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "من أَحَبَّ أن يُبسَطَ له في رزقِه ، ويُنسأَ له في أثرِه ، فلْيَصِلْ رَحِمَه"[2]، ويقول سبحانه في الحديث القدسي:" أَنَا الله ، وَأَنَا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِنْ اسْمِي ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ"[3].

* * *

---

١) سنن ابن ماجه، كِتَابُ الْأَحْكَامِ ، بَابُ مَنْ بَنَى فِي حَقِّهِ مَا يَضُرُّ بِجَارِهِ ، حديث رقم:٢٣٤١.

٢) متفق عليه، صحيح البخاري ، كِتَابُ الأَدَبِ ، بَابُ مَنْ بُسِطَ لَهُ فِي الرِّزْقِ بِصِلَةِ الرَّحِمِ ، حديث رقم: ٥٩٨٦ ، وصحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، حديث رقم:٢٥٥٧.

٣) سنن الترمذي، أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي قَطِيعَةِ الرَّحِمِ ، حديث رقم: ١٩٠٧ .

فهرس الموضوعات

❊ ❊ ❊



الناشر / المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رقم الإيداع: ١٠١٣٣/ ٢٠٢٣

الترقيم الدولي: ١-٥٦٦-٢٠٥-٩٧٧-٩٧٨